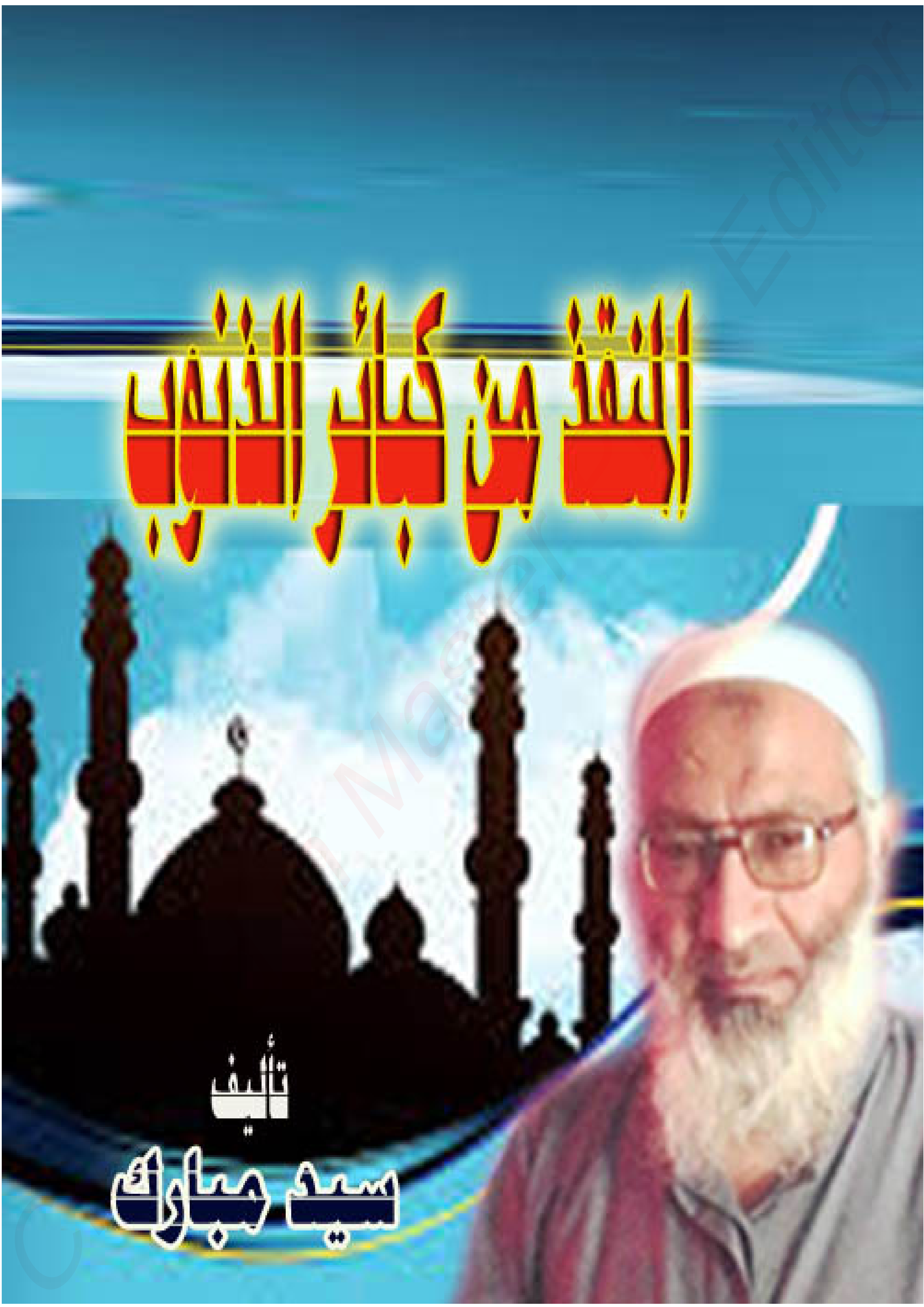

المنقذ من كبائر الذنوب
تأليف
سيد مبارك

مقدمة الكاتب

=========

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد لأن محمد عبده ورسوله ﷺ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(آل عمران–١٠٢)

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تتساءلون بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء– ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(الأحزاب/٧٢)

أما بعد ..

لقد سبقني الكثير من الذين تصدوا للكتابة عن كبائر الذنوب في عصرنا هذا ، ولأنني أعلم أن الهدف لكل كاتب أن يثري بكتبه ومؤلفاته المكتبة الإسلامية مع وضع نصب عينيه إفادة القاري المسلم وبيان ما غاب عنه ليكون علي بصيرة من أمر دينه ودنياه.

فأنني وبكل صراحة لم أتي بالجديد لأن من المنطقي لا جديد أكثر مما قيل من كتب السلف الصالح عن الكبائر جليلها ودقيقها.

ولكني أحببت ربط الكبائر بأحداث عصرنا مع الالتزام التام بطرح الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء الثقات.

وأحببت زيادة لطيفه بعد بيان الكبائر وأدلتها ، وهذه الزيادة هي الداعي لتصنيف هذا الكتاب وهي بيان الوصايا التي ينبغي علي المسلم العمل بها كي يتجنب الوقوع هذه الكبائر .

وبعد.. فهذا العمل كغيره قد يتخلله تقصير في البيان أو تطويل فيه بغير حاجة، أو نسيان شيئاُ يزيد منفعته للعباد وعلي كل حال قد اجتهدت في البحث والجمع علي قدر استطاعتي فأن أصبت وأحسنت فهذا من فضل ربي وأن أخطئت أو قصرت فهذا مني ومن الشيطان . وأسأل الله تعالي أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ولا يجعل للشيطان فيه حظا ولا نصيبا والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ سيد مبارك (أبو بلال)

مقدمة لابد منها

يقول الله تعالى :(إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً)]النساء:٣١[، وقال سبحانه :(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)]النجم:٣٢ .[

قلت: إذا علم هذا فإنه يتعين على كل مسلم أن يعرف هذه الكبائر تمام المعرفة، ويجتهد بلا كسل أو تهاون في اجتنابها والبعد عن الوقوع فيها لئلا تكون حائلا بينه وبين رضا الله عنه ومغفرته له، خصوصا وأن النبي ﷺ حذر وأنذر من اقترافها بقوله :" الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**"** مسلم والترمذي

وقال الذهبي في كتابه القيم " الكبائر " ما نصه:

الكبائر : ما نهى الله و رسوله عنه في الكتاب و السنة والأثر عن السلف الصالحين ، و قد ضمن الله تعالى
في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر و المحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى:
(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١). النساء)
فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.
و قال تعالى :
(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) النجم
وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الصلوات الخمسة و الجمعة إلى الجمعة ، و رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ، فتعين علينا الفحص عن الكبائر ، ماهي لكي يجتنبها المسلمون ، فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقيل هي سبع واحتجوا بقول النبي صلى الله تعالى عليه و على آله و سلم "اجتنبوا السبع الموبقات فذكر منها الشرك بالله و السحر ، و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، و أكل مال اليتيم ، و أكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ". متفق عليه

و قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ، و صدق و الله ابن عباس و أما الحديث فما فيه حصرالكبائر ، و الذي يتجه و يقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل و الزنا و السرقة ، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه و سلم فإنه كبيرة و لا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ألا ترى أنه صلى الله عليه و سلم عد الشرك بالله من الكبائر ، مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبداً قال الله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء.اهـ

وفي السطور التالية عدد من الكبائر التي يجدر بكل مسلم أن يوليها اهتمامه، علما بها وحذرا من اقترافها، وقد راعينا في اختيارها ما يهم السواد الأعظم من الناس، فنسأل الله تعالى أن يقينا وسائر المسلمين الذنوب والمعاصي، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين .

(١) الشرك بالله تعالي

-الشرك بالله تعالى :قال تعالى(:إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ]) المائدة:٧٢]

وقال النبي ﷺ:"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله" (متفق عليه).

وهو نوعان: شرك أكبر وهو عبادة غير الله، أو صرف أي شيء من العبادة لغير الله، وشرك أصغر ومنه الرياء، قال تعالى في الحديث القدسي :"أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه "رواه مسلم .

ولأن الشرك من أكبر الكبائر والذنب الذب لا يغفره الله إلا لمن تاب وأناب فنبدأ بحول الله وقدرته من البداية ونقول:

عندما شاء الله جلت حكمته ولا معقب لحكمه أن، يكون له خليفة في أرضه يعبده ويوحده ويدعوا ذريته إلي ذلك خلق ادم من العدم بكلمة كن فيكون قال تعالي (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) –البقرة ٣٠/

ثم بين سبحانه الغاية من الخلق فقال:(وما خلقت الجن والأنس ألا ليعبدون)الذريات/٥٦

ومن أجل أفراده سبحانه وتعالي بالعبودية والألوهية بعث الله أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين وختمهم بالنبي الخاتم ﷺ وأوحي أليهم بكتبه وكلامه وفيها نور وهدي لمن أراد بلوغ طريق الرشاد و غاية المرام ولكن طوال تاريخ البشرية والعباد بين مؤمن بوجوده سبحانه وملحد ينكر وجوده، وبين مصدق برسله وكتبه ومكذب لا يؤمن ببعث ولا حساب ولا جنة أو نار.

ودخل التحريف والتبديل في الكتب السماوية السابقة وعاد كثيراً من العباد إلي الشرك بالله والكفر به، ولكن ظل الإسلام الدين الوحيد الذي يدين أهله بتوحيدهم لله وأفراده بخصائص الألوهية والعبودية وكتابهم لم يحرف أو يبدل لأن الله وعد بحفظه .. قال تعالي (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)– الحجر/٩

– قال ابن تيمية في "اقتضاء الصراط ": أعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل ، وقد مقت أهل الأرض : عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا – أو أكثرهم – قبيل مبعثه .

والناس إذ ذاك أحد رجلين : إما كتابي معتصم بكتاب ، إما مبدل ، وإما مبدل منسوخ ، ودين دارس ، بعضه مجهول ، وبعضه متروك ، وإما أمي من عربي وعجمي ، مقبل على عبادة ما استحسنه ، وظن أنه ينفعه : من نجم أو وثن ، أو قبر ، أو تمثال ، أو غير ذلك .

والناس في جاهلية جهلاء ، من مقالات يظنونها علماً وهي جهل ، وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد ، وغاية البارع منهم علماً وعملاً ، أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين ، قد اشتبه عليهم حقه بباطله . اهـ

ومن ثم فالتوحيد درة تاج الإسلام والدين الذي ارتضاه الله لعباده واليك نبذه سريعة عن الأديان الأخرى وما أبتدع فيها والشرك الذي وقع فيه أهله .

– التوحيد دعوة الأنبياء والرسل :

قال النبي ﷺ (خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .)([1])

والقران الكريم فيه من الآيات البينان ما يؤيد ذلك بوضوح:

قال تعالي مخبرا عن نوح عليه السلام أول رسل الله (ولقد أرسلنا نوحا إلي قومه فقال يا قوم أعبدا الله مالكم من إله غيره)–المؤمنون٢٣

وكانت هذه هي دعوة الأنبياء جميعا بعده حتى ختمها بدعوة أمام الأنبياء الذي أرسله للناس كافه وختم برسالته الرسالات وبه النبوات.. فقال تعالي له ولأمته (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ومَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ومَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْبَاطِ ومَا أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ (٨٥)–أل عمران/٨٤

*** التوحيد عند اليهود :**

اليهود أمة قلوبهم أشد قسوة من الحجارة فهم قوم لا عهد لهم قتلوا أنبيائهم وكفروا بالله ورسله وعاثوا في الأرض فسادا وصورا الله تعالى في صور مجسمة تشبة البشر ، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وهذا واضح في كثير من قصص أسفارهم .

كما أنهم حرفوا التوراة واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقالوا هو من عند الله فخسروا دينهم ودنياهم .. قال تعالي(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ووَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)البقرة/٧٩

– وبنوا إسرائيل تاريخهم في الشرك والكفر طويل ولم يستطع نبي الله موسى عليه السلام أن يمنع قومه من عبادة العجل الذي عمله لهم (السامري) فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم حينما ذهب لمناجاة الله والقران الكريم بين ذلك فقال تعالي : (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ولَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ)طه/٨٧–٨٨

من أجل ذلك ضرب الله علي قلوبهم الذلة والمسكنة واستحقوا غضب الله ولعنته عليهم في الدنيا والأجرة.

– التوحيد عند النصاري :

---

[1] . حسن الألباني إسناده في صحيح الجامع/٣٢٧٤

لا يقل حال التوحيد عند النصارى عن حال اليهود من الشرك والكفر والضلال المبين ، فقد غالوا في دينهم وقالوا في المسيح وأمه قولاً عظيما و تناول الأتباع بعد عيسي عليه السلام الإنجيل بالتحريف والزيادة حتى أصبح أربعة أناجيل يناقض بعضها بعضا . وصارت الكنيسة هي المهيمنة المتسلطة فقالوا : أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنسانا وعاش مع الناس كواحد منهم ش و قتل بيد اليهود أحفاد القردة والخنازير ودفن ، ثم خرج من قبره وصعد للسماء ، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ البشرية من الخطيئة التي ارتكبها أبوه آدم ، لأن المسيح حسب اعتقادهم له شخصيتان : اللاهوت والناسوت ، أي إلهية وإنسانية ، وكل هذا غلو يتبرأ منه نبي الله عيسي يوم القيامة .

قال تعالي (يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الحَقَّ إنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إنَّمَا اللَّهُ إلَهٌ واحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ ولَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ وكَفَى بِاللَّهِ وكِيلاً)النساء /١٧١

قال ابن كثير في تفسيره : " أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم، شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً،.اهـ

وقال الشاطبي "في الاعتصام ١/١٠٣ ":

فزعموا في الإله الحق ما زعموا من الباطل ، بناء على دليل عندهم متشابه في نفس الأمر حسبما ذكره أهل السير ، فتاهوا بالشبهة عن الحق ، لتركهم الواضحات ، وميلهم إلى المتشابهات ، كما أخبر الله تعالى في آية آل عمران ، فلذلك قال تعالى : "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل" وهم النصارى اهـ

والحاصل أن التوحيد عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيه غلو وباطل فأستحق اليهود الغضب و اللعن من الله تعالي وضل النصاري عن التوحيد الحق.

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "أقتضاء الصراط المستقيم "–(٦٧/١) :

كفر اليهود أصله عدم العمل بالعلم ، وكفر النصارى أصله عملهم بلا علم

وجماع ذلك : أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً ، أو لا قولاً ولا عملاً . وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله ما لا يعلمون ، ولهذا كان السلف : سفيان بن عيينة وغيره ، يقولون : إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ! ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى اهـ

*** التوحيد درة تاج الإسلام:**

وبعد أن بينا حال التوحيد عند اليهود والنصارى وأدركنا ماهم فيه من شرك يتبين لنا جليا أن الإسلام هو الدين الوحيد من الأديان السماوية التي ظل محافظا علي خلو التوحيد من شوائب الشرك والكفر وإن ضل بعض القوم

من الفرق والمذاهب الضالة قديما وحديثا ألا أن الله سوف يؤيد من ينصر هذا الدين ويدافع عن التوحيد من بدع الشرك والكفر وله الحمد والمنة

– وقد أخرج مسلم في كتاب الأمارة عن ثوبان قال" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"

. ولا ريب أن هذه الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة التي تقوم عقيدتهم علي أخلاص العبودية والتوحيد لله تعالي في أسمائه وصفاته من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه أو تعطيل .

، ويؤمنون بكل ما أنزل عليهم من كتب من عند الله قبل التحريف والتبديل، ويؤمنون بجميع الرسل لا يفرقون بين أحد منهم ويدعون غيرهم من أهل الملل والنحل إلي الله وتوحيده وإخلاص العبودية له لا يبتغون بذلك أجرا غير رضاه سبحانه وهو القائل في كتابه الكريم :

(قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّـهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤–ال عمران).. وبعد كل هذا التوضيح نبين للقاريء الكريم حقيقة التوحيد والمطلوب منه بعد بيان بعض الشركيات التي يقع فيها بقصد ونية أو عكس ذلك لجهله وغفلته والله المستعان

شد الرحال لأولياء الله تعالي :

وهذا أمر قد عم وانتشر انتشار النار في الهشيم ، ولا يتحرك العلماء إلا من رحم ربي خوفاً من الفتنة أو على أنفسهم لا أدر ي ؟!!

من أجل تغييره وتوضيح خطورته على العقيدة ومخالفته لتوحيدهم لله تعالى .

فشد الرحال والذهاب إلى أصحاب الأضرحة من الأولياء وأقطاب الصوفية الذين ماتوا وسؤالهم والاستعانة بهم ، والنذر والدعاء عندهم .. إنما هو شرك يخالف صريح القرآن والسنة وإليك بعض الأدلة على حرمة ذلك مع رفع الالتباس والرد على الشبهات لكشف الغمة عن عيون الناس .

الدليل الأول:

قال تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {١٨٨}﴾ (الأعراف ١٨٨).

وتأمل أخي القارئ وتدبر الآية جيداً فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً . فما بالك بمن هو دونه في المقام والمنزلة والعبودية لله تعالى من أقطاب الصوفية وأولياء الله الذين يتوسل بهم الناس لجلب نفع أو دفع ضر !!

حقاً إنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وإليك دليل أخر يؤيد هذا التوضيح .

الدليل الثاني :–

قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {١٨} ﴾ (يونس ١٨)

الدليل الثالث :-

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه يوماً فقال(يا غلام إني أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك ، أحظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1] .

الدليل الرابع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) ([2])

وفي هذه الأدلة الأربع من القرآن والسنة الكفاية ليتبين ضلال اعتقاد هؤلاء بأن هناك من ينفع أو يضر مع الله تعالى !!

فما بال هؤلاء لا يفقهون لله حديثاً ؟! ويأتون من أقاصي البلاد ومن أسوان والمنيا ومن هنا وهناك ويشدون الرحال للاحتفال بليلة مولد فلان ويتمسحون بضريحه ويبكون ويستغيثون به .. يا سيدي فلان مدد .. مدد ، ويذبحون الذبائح ويقيمون الولائم ، ويختلط في هذه الليلة الرجال بالنساء وتقع المنكرات والفواحش بلا رادع من دين أو ضمير .

**** شبهات الصوفية والرد عليها:**

من العجيب أن هؤلاء الذين يدافعون عن هذه المنكرات باستماتة يقولون إنما هم يتوسلون بهم أي أولياء الله ليكونوا شفعاء لهم عند الله تعالى ووسطاء فهم أولياؤه وخاصته وأقربهم طاعة ومقاماً ومنزلة عنده سبحانه وتعالى .وهذا هو عين الشرك .. وذاك هو الجهل الفاضح والاعتقاد الفاسد ولهؤلاء شبهات أخرى ولا بأس أن نذكر هنا ثلاث ونرد عليها بالأدلة التي تتحضها من القرآن والسنة وأقوال العلماء الثقات والله المستعان

**الشبهة الأولى :-

يقولون أن هؤلاء شفعاء لنا عند الله تعالى وهذا يوافق تماماً ما قاله المشركين قديماً كما قال تعالى :﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لايَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ {٣} ﴾ (الزمر ٣)

وقوله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {١٨} ﴾ (يونس ١٨)

١- أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦) وأحمد في مسند بني هاشم (٢٦٦٤)

[٢] . اخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٥)

نعم رغم قولهم هذا فقد وصفهم الله تعالى بالشرك والكذب فهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشر وهو وحده الذي يلجأ إليه الإنسان يسأله ويستغيث به ولا يرجى سواه ولا يذبح إلا له ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا منه ولا يحلف إلا باسمه ولا يطاع إلا أمره تلك هي حقيقة العبودية له سبحانه وتعالى . . فانتبه .

*الشبهة الثانية :-

يقولون أن الصحابة قد توسلوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده بالعباس عمه رضي الله عنه .. أي أن الصحابة في زعمهم توسلوا بمخلوق وهذا هو عين ما يفعلونه، وهذه فرية سوف يحاسبهم الله عليها وللرد على هذه الشبهة أنقل إليك ما ذكره شيخ الإسلام "ابن تيميه" رحمه الله تعالى في كتابه"اقتضاء الصراط المستقيم".

قال : استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعوا لهم بالاستسقاء وغيره . وقول عمر رضي الله عنه : آنا كنا إذا أجد بنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا.

معناه : نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ، ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به إنا نقسم عليك به ، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعله المبتدعون بعد موته وفي مغيبته كما يقول البعض أسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون إنا نتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه ويردون حديثاً موضوعاً :

(إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عريض) فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه ، لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه إلى العباس مع علمهم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو ما يفعله الأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فإن الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شئ لا الدعاء ولا غيره)[1] ا .

ثم إن هؤلاء .. أخي القارئ لو تحدثت معهم بالحجة فقلت لهم أن الدعاء عبادة خالصة لله تعالى فهو وحده القادر على الإجابة فأمره بين الكاف والنون إن أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون . فإذا دعا الإنسان ربه قائلاً مثلاً (اللهم أجرني من النار) الدعاء هنا لله تعالى أم لمخلوق ؟

سيقولون بلا ريب لله تعالى فهو خالق الجنة والنار وميسر الأسباب وبيده ملكوت كل شئ. فنقول لهم هذا شئ جميل ، فإذا كان الأمر كذلك فما معنى ذهابكم إلى السيد البدوي أو الدسوقي أو غيراهما وقولكم أمام ضريح المقبور " يا فلان نسألك كذا وكذا "

وقد اتفقنا أن الدعاء عبادة خالصة لله تعالى ، فيكون الدعاء عند غيره من أصحاب الأضرحة وسؤالهم شرك لأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً ولا حياةً ولا موتاً ولا نشورا .

إن قالوا : نعم فقد أقاموا الحجة على أنفسهم وإن قالوا : لا و تهربوا وجادلوا وجحدوا وتكبروا عن الانصياع للحق فقد صدق فيهم قول الله تعالى :

١- إفضاء الصراط المستقيم في لغة أصحاب الجحيم لابن تيميه ص/ ٤١٤، ٤١٥ - ط دار أحياء السنه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {١٩٤} ﴾ (الأعراف ١٩٤)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)[١] هذا وهناك من عوام الناس لجهلهم ومعتقدهم الفاسد يظنون أن شد الرحال إلى أولياء الله أنفع من حج بيت الله الحرام .

ويقول شيخ الإسلام "ابن تيميه" في كتابه السابق الذكر تعليقاً علي اعتقاد هؤلاء: "وأكثرهم يسأل الميت المقبور كما يسأل ا لحي الذي لا يموت فيقول : يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني وتب علي ، أو يقول : اقضي عني الدين وانصرني على فلان ، وأنا في حسبك وجوارك "[٢].

ومن ثم فإن ما يفعله هؤلاء القبوريون وصمة عار في جسد الأمة الإسلامية يسأل عنها الأمراء والعلماء إلا من رحم منهم ممن جاهر بكلمة الحق ولا يخاف في الله لومه

لائم الذين قصدوا في التوجيه والإرشاد وتغير المنكر إما للخوف على لقمة العيش أو طمعاً في الاستمرار والبقاء في مناصبهم الدنيوية الزائلة لا نقول لهم إلا قول الله تعالى لنذكرهم بحقه سبحانه ويحذوا حذو إخوانهم من العلماء المخلصين .

قال تعالى :-

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {١٠٤} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ

وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {١٠٥} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {١٠٦} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {١٠٧}﴾ (آل عمران ١٠٤-١٠٧)

*الشبهة الثالثة :-

يقولون أن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فيه قبر النبي وصاحبيه ونحن نشد الرحال إليهم فما الفرق ؟

قال علمائنا في الرد على هذه الشبهة ما يلي :-

أولاً :. القبر كان في حجرة السيدة عائشة كما هو معلوم رضي الله عنها في بداية الأمر وكان قريباً من المسجد وكان بين البيت والمسجد الروضة الشريفة كما قال صلى الله عليه وسلم (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[١].

هذا وقد ظل البيت خارج المسجد في عهد الخلفاء الراشدين والتابعين وتابعي التابعين وهم القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ، ثم جاء العهد الأموي وأدخل الوليد بن عبد الملك حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وفيها قبر النبي وصاحبيه داخل المسجد

١- أخرجه البخاري في التفسير (٤٤٩٧) ، وأحمد المكثرين عن الصحابة (٣٥٤٢).

٢- انظر أفضاء الصراط المستقيم في لغة أصحاب الجحيم لابن تيميه.

١- أخرجه البخاري في الجمعة (١١٩٥)، ومسلم في الحج (١٣٩٠).

لتوسعته ، ويومها بكى أهل المدينة كما لم يبكوا إلا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بتحذيره من اتخاذ القبور مساجد :

- من ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:-

(قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا)[1].

– ومن ذلك ما أخرجه البخاري وأحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن من شرار الناس من تدر كهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد)[2]. ثانياً :– نحن مأمورون بشد الرحال إلى المسجد النبوي لحديث أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (– لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى)[3].

ولسنا مأمورين بشد الرحال للحسين أو البدوي أو الدسوقي أو غيرهم انتبه .

ثالثاً :– إن كثير من الصحابة الذين ماتوا رضوان الله عليهم أجمعين لم تسجل لهم كتب التراث والتاريخ حالة واحدة من أن واحد منهم زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو صحابي أخر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسأله مسألة أو استغاث به أو اتخذه وسيطاً أو شفيعاً عند الله تعالى وكذلك في عهد التابعين وتباعي التابعين . وهم أفضل الأمة إيماناً وتقوى وورع وفقهاً وعلماً ويقيناً وخوفاً من الله تعالى فهل

أقطاب الصوفية الذين يتوسل بهم هؤلاء القبوريون أفضل كرامة ومنزلة ومكانة من النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

إن أدركت الإجابة وانكشفت أمامك الغمة وزال الالتباس في حرمة شد الرحال والسؤال والاستعانة بغير الله تعالى أدركت جيداً أن من يفعل ذلك قد ضل ضلالاً بعيداً، وإن دل هذا على شئ فهو يدل على أن الأمة المحمدية قد أصابها الحمى الشركية في أماكن متفرقة من جسدها فإن لم ينهض أطباء الأمة وعلماؤها بكشف الداء وتشخيص الدواء وهم ورثة الأنبياء في جميع وسائل الإعلام المقروه والمسموعة والمرئية دون خوف من الفتنة أو على أنفسهم أو مناصبهم الدنيوية والحق أحق أن يتبع ، فقد تعود الأمة إلى جاهليتها ووثنيها رغم التقدم العلمي والتكنولوجي في العصر الحديث .

وبعد لقد أطلنا الحديث في حرمة شد الرحال ، ولكن كان ولابد من البيان والتوضيح فهو أمر قد عم وانتشر والأخطر من ذلك فهو شرك أكبر والعياذ بالله مما احتاج مني إلى هذه الاستفاضة في الشرح ونشرع الآن ببيان بعض المحرمات الشركية التي يجب الاقلاع عنها والله من وراء القصد هو الهادي إلى الصراط المستقيم.

---

[1]- أخرجه البخاري في الصلاة (٤٣٦)، ومسلم في المساجد (٥٣١).

[2]– أخرجه أحمد في مسند الكثرين (٣٨٣٤) وأسناده صحيح.

[3]–أخرجه البخاري في الجمعة (١١٨٩).

- الحلف بغير الله تعالى :-

لا يجوز للمسلم أن يحلف أو يقسم بغير الله تعالى مثال ذلك الحلف بالأمانة والنعمة وحياة النبي وحياة الأب والأم وروح فلان أو رحمته أو غير ذلك فكل هذا حرام وإليك بعض الأدلة من الأحاديث الصحيحة:

- روي البخاري ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً قال صلى الله عليه وسلم :

(ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)[١].

- وروي أبي داوود (من حلف بالأمانة فليس منا)[٢].

هذا وعلى فرض إنك أخي القارئ حلفت بالله خطاء ودون قصد أو نية بالنبي أو الأمانة أو بحياة فلان أو غير ذلك بحكم العادة المتوارثة ، فكيف تخرج مما قلت؟

الجواب : لله الحمد والمنة فقد جعل لنا من الأمر مخرجاً ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله)[٣]. أذن للخروج مما قلت أن تقول لا إله إلا الله ، وليس هناك كفارة من مال أو صيام لأنن الحالف بغير الله قد أشرك والشرك لا كفارة له فليس له إلا الاستغفار وقول لا إله إلا الله .

وقد جاء في الأثر أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول : (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً) .. لماذا ؟

لأن الحلف بالله كاذباً يمين غموس ومن الكبائر ، والحلف بغيره شرك ومن أعظم الكبائر .. انتبه .

- تعليق التمائم : -

والتمائم جمع تميمة وهى خرزة كان العرب يجعلون أولادهم يلبسونها زاعمين أنها

تدفع عنهم شر الجن وتقيهم العين وغير ذلك وهذا شرك وحرام والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من علق تميمة فقد أشرك)[١].

وقد يقول قائل أن كانت التميمة من آيات القرآن فهل تجوز ؟ الإجابة ما جاء في كتاب(فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد) مختصراً ما يلي : "أن السلف اختلفوا في ذلك فبعضهم رخص فيها وبعضهم منع والأقرب إلى الصواب هو النهي عن ذلك لأسباب التالية :-

---

١- أخرجه البخاري في الأدب (٦١٨) ، ومسلم في الإيمان (١٦٤٦)

٢- أخرجه أبو داود في الإيمان والنذور (٢٨٣١) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢٢٤٧١)

وإسناده صحيح .

[3]– أخرجه البخاري في الإيمان والنذور (٦٦٥٠) ومسلم في الإيمان (١٦٤٧)

[1]– أخرجه أحمد في مسند الشاميين (١٦٩٦٩) وإسناده صحيح.

١- عموم النهي ولا مخصص للعموم.
٢- سد الذريعة فإنه يفضي إلي تعليق ما ليس كذلك.
٣-أن إذا علق فلابد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

- الرقى :-

والرقية منها ما هو شرك ، ومنها ما هو مشروع، فالأول محرم وشرك والدليل ما أخرجه مسلم عن عوف بن مالك قال :

(كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله : كيف تري في ذلك ؟ فقال : ("أعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً")[٣].

فإن كانت الرقية بتعاويذ وطلاسم وكلمات غير مفهومة فهذا شرك وكفر ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب الرحمة في الطب والحكمة وانقله لك من كتاب السنن والمبتدعات لنوضح رد مؤلفه اللاذع والقوي على هذه السخافات لتزداد فائدة وتحترز من هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تدعوا إلى الشرك والعياذ بالله . جاء في السنن والمبتدعات نقلاً ورداً على كتاب الرحمة في الطب و الحكمة ما نصه :-

- (لعلاج رمد العين) نقلاً عن شيخهم وإمامهم وقدوتهم إلى الجهل والبلة والغباء والجنون صاحب كتاب الرحمة بل اللعنة في الطب والحكمة قال : يؤخذ دم الحائض التي لم يمسها رجل ويخلط مع المني ، ويكتحل به فإنه يقطع البياض من العين . قال : والحق أنه يقطع النور من العين .

(لعلاج العمى) قال الشيخ في كتاب اللعنة (عزمت عليك أيتها العين بحق شرا هيا براهيا ادنواى أصاؤت أل شداي ، عزمت عليك أيتها العين التي فلان بحق شهت بهت أشهت باقسطاع ألحا ... أخرجي نظرة السوء .. كما خرج يوسف من المضيق، وجعل لموسى في البحر طريق). الخ ..وقال عبد السلام محمد في كتابه "السنن والمبتدعات" رداً على هذه الرقية الشيطانية ما نصه :

- (أقول كيف يحكم الإنسان على هؤلاء الشيوخ أنحكم عليهم بأنهم يهود لأنهم ألفوا كلام اليهود وعلوم اليهود ، أو نحكم عليهم بالنصرانية لأن معظم ما ينقلونه هو الكفر أقرب منه للإيمان أم هم أهل بدعة وجهالة بالدين وبله وغباوة وقلوب عمياء ..)

- (لتقوية الجماع) قال الشيخ : تكتب في ورقة بقلم نحاس وتجعله تحت لسانك أي وقت الجماع . وهذا ما تكتب : (١٩١٦٩١١١٩١١١٥٦٩١٨٦٩٣١١١١٨١١٤٥)

قال عبد السلام محمد : من عمل بها فهو أغفل مغفل على وجه الأرض ، ومن لم يحرق هذا الكتاب وأمثاله فسيحرق هو بنار الجهل وما يجره عليه من فقر وأمراض وتخبط في البلاء والهموم والأحزان وبعد هذا عذاب الآخرة النار يصلونها ولبئس المهاد . "[١] .

---

[٣]- أخرجه أبو داود في الطب (٣٣٨٨) ، ومسلم في السلام (٢٢٠٠)

١- أنظر السنن والمبتدعات لعبد السلام محمد ص /٢٩٢ – ٢٩٥)

وإني أنصح من يصدق مثل هذا الكلام ويعمل به أن يتوب ويلجأ إلى الرقية الشرعية المشروعة وله فيما فعله ابن مسعود رضي الله عنه عبره وعظه فقد رأي يوماً في عنق زوجته خيطاً فسألها : ما هذا ؟ فقالت : خيط رقى لي فيه من الحمى ، فجذبه فقطعه فرمى به ثم قال :

لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الرقى و التمائم والتولة شرك) فقالت : لقد كانت عيني تقذف ، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى سكنت فقال عبد الله ابن مسعود : إنما ذلك عمل الشيطان ، كان ينحسها بيده فإذا رقى كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان صلى الله عليه وسلم يقول : (أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)[٢].

ومن ثم .. يتبين لنا من هذه الأدلة أن الرقية الشرعية ما كانت بأسماء الله أو صفاته أو بقرآنه أو بكلام النبي صلى الله عليه وسلم فكله جائز وغير ذلك فهو شرك وقد جاء

في كتاب "فتح المجيد في شرح التوحيد" ما يلي : قال السيوطي رحمه الله قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:-

١- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .

٢- وباللسان العربي وما يفهم معناه .

١- وأن يعتقد إن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ."[١]

- تصديق العرافين والدجالين :-

من أتي العرافين والدجالين ليسألهم عن شئ فقد أتى بابا من أبواب الشرك لأنه أعتقد أن هناك من البشر من يعلم الغيب وهذا افتراء وكذب لقوله تعالى :

﴿ ُقل لا يَعلَمُ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ {٦٥}﴾ (النمل /٦٥).

هذا وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من إتيان العرافين والدجالين فقال صلى الله عليه وسلم (من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم يقبل له صلاة أربعين ليلة)[٢]

وأيضاً الحديث الذي رواه الإمام أحمد قال فيه صلى الله عليه وسلم:

(من أتى حائضاً أو أمره في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد)[٣].

---

[2]- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٣٦٠٤) ، وأبو داود في الطب (٣٣٨٥) وإسناده صحيح – والتمتئم والتوله : ضرب من السحر يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها .

[1]– فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ص / ١٣٢ – ط دار الفكر.

[2]– أخرجه مسلم في السلام (٢٢٣٠) وأحمد في مسند الأنصار (٢٢٧١١)

[3]– أخرجه الترمذي في الطهاره (١٣٥)، وأبو داود في الطهاره وسننها (٣٤٠٥).

وأنواع الدجل والشعوذة كثيرة كضرب الودع وقراءة الفنجان وتصديق أبراج الحظ في الجرائد والمجلات وقراءة الكف والكوتشينة .. الخ.

فكل هذا دخل وشعوذة وضرب من ضروب التخيل وليس غيب يعلمونه وهؤلاء الدجالون يمتازون بلباقة في الحديث ورشاقة في الأسلوب وإن من البيان لسحرا ، وهم يضحكون على عقول السذج من البسطاء أو أصحاب القلوب الفارغة من الدين من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة الذين يصدقون مثل هذه الخرافات وأهدي إليهم هذا الدليل عسى أن يعودوا إلى طريق الحق والرشاد من كلام الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها :

(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال : ليسوا بشئ .. فقالوا : يا رسول الله ، إنهم يحدثوننا أحياناً بشئ ، فيكون حقاً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن ، فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة)[1].

وبادئ ذي بدء فإني أحذر من شراء الكتب التي تدعو إلى الشرك مثل كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب الرحمة في الطب والحكمة وكتاب أبو معشر الفلكي وغيرها من كتب تحمل في طياتها السم الزعاف الذي يصيب من يصدقه بوباء الشرك الذي لا يغفره الله تعالى وإليك فقرات من هذه الكتب لتكون على بينة من أمرك فلا تشتريها وتحذر منها إخوانك لما قد يجره عليهم تصديقها من سوء الخاتمة في الدنيا والآخرة .

جاء في كتاب شمس المعارف الكبرى "ص ١٦ الجزء الأول" لمن أراد علاج مريض أو عودة غائب أو التوفيق بين متخاصمين فيعرفون ذلك بأن جعلوا لكل ملك يوم مسئول

عنه فمن أراد شفاء المريض أو عودة الغائب أو الإصلاح بين المتخاصمين يعرفون اليوم ثم ينادون على الملك الموكل بهذا اليوم ويستغيثون به من دون الله لشفاء المريض أو عودة الغائب أو الإصلاح بين المتخاصمين . اهـ.

في نفس الكتاب"ص ١١٦ الجزء الأول" دعاء واستغاثة بأسماء ملائكة وشياطين وبعض أسماء الله الحسنى أنقله لك لتدرك إلى أي مدى صار تصديق مثل هذا الكلام شرك وضحك على العقول جاء ما نصه :-

(أجب ياسمسمائيل بحضور الملك الأحمر أجب يا أحمر بحق الملك الغالب عليك أمره سمسمائيل وبحق دمليخ إلا ما أجبت وأسرعت وفعلت ما أمرتك به أقسمت عليك ياميكائيل الموكل بفلك عطارد وبحق من لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الستار أجب يا ميكائيل بحضور برفان أجب يا برفان بحضور الملك الغائب) الخ

وفي(ص ٦٣ الجزء الثاني) تقرأ استعانه وسؤال بكلمات كلها دجل وشعوذه مثل قوله :

هذا الاسم السريع(أهلا هلا هله الذات واللوح والقلم يا بريا وصول أوصل كذا إلى كذا وأوصل المودة بينهما بيهلطيف سليطيع اسماطون أطوان هكش برقش هيو رش بهليور الركياظ هيورش ياروش ... أجيبو أيتها الأرواح

---

[1] – أخرجه البخاري في الطب (٥٧٦٢)، ومسلم في السلام (٢٢٢٨).

العظام بالاسم المخزون المكنون أجب يا سالم يا ميمون يكتب يوم الأربعاء بماء الحبق النهري القرنفلي و الزعفران وماء).

فهل هذه الأدعية والأستعانات من الله أم من الشيطان.. أعلم أن كل هذا دجل ولا يعلم الغيب إلا الله ولا نافع ولا ضار إلا هو سبحانه وتعالى .

أما كتاب(أبو معشر الفلكي) وهو دستور الدجالين والمشعوذين فهو ملئ بالأبراج والأرقام والخرافات والشرك من أوله إلى أخره فمثلاً(إن الحامل إن أرادت أن تعرف المولود لها ولد أما بنت جاء ما نصه :-

احسب اسمها واسم أمها واسم اليوم الذي سئلت فيه وأسقطه على ٤٤ فإن بقى واحد فولد ، وإن بقى أثنان فأنثى وأن بقى ثلاث تسقط ، وإن بقى ٤ تلد زوجاً ويستطرد قائلاًَ : من ولد أول النهار يكون غنياً ومن ولد أخر النهار يكون غبياً).

طاعة الله تعالى . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال صلى الله عليه وسلم :-

(من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه)[1]

والنذر لغير الله شرك وظلم فلا يجوز العمل والوفاء به .

- الطيرة .. والتشاؤم :-

الطيرة أو التشاؤم شرك لأن الإنسان إن أراد أن يفعل شيئاً كسفر أو زواج أو غير ذلك وتشاءم من صوت بومة أو رقم ١٣ أو لون من الألوان أو كلمة يسمعها أو غير ذلك ورده عما كان سيفعله خوفاً من ضرر يصيبه من ذلك فقد أوقع نفسه في الشرك . قال القاضي عياض :-

(إنما سماها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به مؤثراً في حصول المكروه وملاحظة الأسباب دون مسببها سبحانه في الجملة شرك خفي فكيف إذا نظر إليها جهالة وسوء اعتقاد ومن أمثله ذلك ما تعتقده النساء في أيام النفاس من دخول عليهن بلحم أو باذنجان أو بلح أحمر فيحدث لهم تشاؤم خوفاً من عدم نزول اللبن أو غير ذلك فهو شرك وعلى الإنسان أن يتوكل على الله فإن منعه مانع دون اعتقاد بالضرر منه وإنما اضطر إلى ذلك فليس هذه طيرة أو شرك مادام عزم التوكل على الله القائل : - ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ {٣} ﴾ (الطلاق٣).

واعلم أخي القارئ ...أن خيراً من الطيرة الفأل وتوقع الخير وجاء عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ولا طيره ويعجبني الفأل الحسن . قالوا : وما الفأل يا رسول الله قال : كلمة طيبة)[1] والمسلم دائماً يحسن الظن بالله ويتفاءل خيراً .

- الرياء أو الشرك الخفي :-

---

[1]- أخرجه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٩٦).

[1]- أخرجه البخاري في الطب (٥٧٥٦) ، ومسلم في السلام (٢٢٢٤).

من شروط العمل الصالح أن يكون خالصاً من الرياء فمن يرائي في صلاته أو صدقته أو حجته أو شجاعته فعمله مردود عله لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا الإ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ {٥} ﴾ (البينه/٥)..

ثم أن الرياء محبط للعمل وخداع للنفس قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوخَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ
قَلِيلاً {١٤٢} ﴾ (النساء ١٤٢)

وقد حذر النبي وانذر من الرياء والشرك في الأعمال والأقوال فقال فيما رواه أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[1]

- وأيضاً عن ابن جندب بن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائى الله به)[2]

- أخي القارئ ..

- لقد أطلنا في شرح وتوضيح هذه الكبيرة لخطورتها ، وتعلم كما أعلم يقينا عن التوحيد الخالص هو سبب وجودنا والغاية من خلق الله تعالي لعبادة وللجنة والنار، وارساله للرسل والأنبياء علي مر العصورمبشرين ومنذيرين، ومن ثم حذار أن تجعل أعمالك وأقوالك يشوبها عدم الإخلاص لله تعالي فهي مردودة عليك، ولا يتقبل الله منك إلا ما كان خالصا لوجه الكريم والله المستعان .

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

والجواب بالفهم الصحيح لحقيقة التوحيد بفهم سلف الأمة وأهل السنة والجماعة ،وذلك هو الحصن الحصين والسبيل الوحيد المنقذ له من الشرك .

وبادي ذي بدء نبين إن التوحيد ينقسم لأقسام أذكرها هنا مع البيان والتوضيح([1]):

*(**توحيد الربوبية**) .. أي لا رب سواه وإفراده سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير.. قال تعالي: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ﴾-٣- فاطر

* (**توحيده الألوهية**) ..أي لا اله سواه وإدراك أن من يشرك به ويموت علي ذلك مصيره النار.. لقوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ النساء/" ٣٦ "

*(**توحيد الأسماء والصفات**)..أي إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمي ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، مثل صفة النزول من السماء والضحك والفرح والعجب واليد والعين والرجل..الخ ،

---

[1]-أخرجه مسلم فى الزهد و الرقائق (٢٩٨٥) وأبن ماجه فى الزهد (٤٢٠٢)

[2]-أخرجه البخارى فى الرقائق (٦٤٩٩) ومسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٧)

[١] نقلاً عن كتابي " هذا ديننا يا أمة الإسلام " وسيطبع قريباً أن شاء الله

وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه وتعالي لنفسه وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل "

– لقوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشورى/ ١١ ..

قال ابن العثيمين – رحمه الله في الفتاوي:وأنواع التوحيد بالنسبة لله عز وجل تدخل كلها في تعريف عام وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به " .

وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء و النظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير " وتفصيل ذلك :

أولاً:بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه قال الله تعالى :

﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ﴾ [١].

وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ [٢]. فالله تعالى وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وخَلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقه أيضاً، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالقٌ لأفعال العباد كما قال الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [٣].

ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب .

فإن قيل : كيف نجمع بين إفراد الله عز وجل بالخلق مع أن الخلق قد يثبت لغير الله كما يدل عليه قول الله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [٤]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين : " يقال : لهم : أحيوا ما خلقتم " ؟

---

[١] سورة فاطر، الآية " ٣" . [٢] سورة النحل، الآية " ١٧".

[٣] سورة الصافات، الآية " ٩٦" .

[٤] سورة المؤمنون، الآية " ١٤" . [٢] سورة الملك، الآية " ١ " .

فالجواب على ذلك : أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله – عز وجل –
فالمصور مثلاً، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئاً غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل، والورقة البيضاء من خلق الله عز وجل، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله، عز وجل وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق . وعلى هذا يكون الله سبحانه وتعالى منفرداً بالخلق الذي يختص به .
ثانياً : إفراد الله تعالى بالملك فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ [٢] . وقال تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ [٣].
فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله سبحانه وتعالى وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : ﴿ أو ما ملكتم مفاتحه ﴾ [٤].
وقوله ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾[٥] . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكاً لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل فهو ملك قاصر، وملك مقيد، ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد
بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نهى النبي، صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ [٦] . وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله سبحانه وتعالى فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
ثالثاً : التدبير فالله عز وجل منفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [١]. وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء . والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو

---

[٣] سورة المؤمنون، الآية " ٨٨" . [٤] سورة النور، الآية " ٦١ " .
[٥] سورة المؤمنون، الآية " ٦"

[٦] سورة النساء، الآية " ٥"
[١] سورة الأعراف، الآية " ٥٤" .

تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق فظهر بذلك صدق صحة قولنا : إن توحيد الربوبية هو " إفراد الله بالخلق والملك، والتدبير " .

النوع الثاني : توحيد الألوهية وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة " بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية، والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الألوهية بحيث لا يصرف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات . فلو أن رجلاً من الناس يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكنيعبد مع الله غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات . فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [٢]. ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله عز وجل أن المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم، وأموالهم وسبى نساءهم، وذريتهم، وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل " . فلابد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكييف، ولا تمثيل، وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى :

منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوّاً يخرج به من الإسلام، ومنهم متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة . لكن طريقة السلف في هذا النوع من التوحيد هو أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تحريف ولا تعطيل،ولا تكييف، ولا تمثيل .

مثال ذلك : أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء . وسمى الله نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى وبالسمع صفة من

---

[٢] سورة المائدة، الآية " ٧٢" .

صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعاً بلا سمع أو سمعاً بلا إدراك مسموع هذا شيء محال وعلى هذا فقس .اهـ

(٢) قتل النفس بغير حق

قتل النفس :من كبائر الذنوب قطعاً.. ورغم ذلك وللأسف الشديد أنتشر القتل في مجتمعات اكثر المسلمين وأصبح ظاهرة في هذا الزمان علي الرغم من أننا نعيش فيه أزهى عصور التقدم العلمي والتكنولوجي في جميع مجالات الحياة .، ودخلت حياتنا كلمات جديدة على الأسماع .. الكومبيوتر .. الإنترنت . . الهندسة الوراثية .. الاستنساخ .. حبوب الفياجرا .. الفيمتو ثانية .... ولكن مع كل هذا التقدم وعلى النقيض تماماً تنسلخ الأمم عن كل معاني الخير والحب وعن التدين ومعرفة الله تعالى واللجوء إليه والخوف منه، لأن منخافه حقاً لا يقع في مثل هذه الكبيرة مهما كان عذره ..

ولقد حرم الإسلام قتل النفس سواء قتل الإنسان نفسه أم قتله غيره قال الله تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } وشنع على هذه الجريمة فاعتبر قتل نفس واحدة : بمثابة قتل الناس جميعا ، قال تعالى : { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } ، { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } ، { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } وفي الحديث : « من قتل معاهدا لم يرح ريح الجنة » (حديث صحيح) .

وقال الذهبي في الكبائر :

قال صلى الله عليه و سلم "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، و إن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً" أخرجه البخاري

فإذا كان هذا في قتل المعاهد . و هو الذي أعطى عهداً من اليهود و النصارى في دار الإسلام . فكيف يقتل المسلم .اهـ

وبحان الله .." حتى في الحروب مع الأعداء لم يبح الإسلام قتل من لم يقاتل أو يعين المحاربين في قتال من نساء المحاربين وأطفالهم ومن الشيوخ والمتعبدين في صوامعهم ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقتلوا شيخًا فانيًا ، ولا طفلًا صغيرًا ، ولا امرأة . . » الحديث، قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر : « لا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الوالدان ولا أصحاب الصوامع » وكان مما يوصي به أبو بكر أول خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم قادته : [لا تقتلوا امرأة ، ولا صبيًا ، ولا كبيرًا هرمًا ، ولا تقطع شجرًا مثمرًا ، ولا تخزين عامرًا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكله ولا تغرقن نخلًا ولا تحرقه] .

هذه هي أحكام الإسلام في منع قتل النفس مسلمة كانت أو معاهدة ، وفي منع قتل من لم يقاتل المسلمين وإن كان من قوم يحاربون المسلمين ، وفي منع الفساد في الأرض وإتلاف الأموال والزروع والثمار ، فنسبة الأفعال المخالفة لهذه الأحكام إلى الإسلام جهل وظلم ، وإن وقع مع بعض المنتسبين إلى الإسلام شيء من ذلك ، فإنه يبوء بإثمه والإسلام من ذلك بريء .

وقد صدر من هيئة كبار علماء المملكة العربية السعودية بيان في ٦ ٤ ١٤١٩هـ يؤكد ما ذكرته ويعلن موقف علماء موقف علماء المسلمين في المملكة من هذه الأعمال الإرهابية وقد ورد فيه ما نصه :

(أن المجلس إذا يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخطورة إطلاق ذلك لما يترتب عليه من الشرور والآثام ، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ ، وإن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة ، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة ، وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه ، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه ، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف ، وعقيدة ضالة ، فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب على الإسلام ، ولا على المسلمين المهتدين بهدى الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة ، والمستمسكين بحبل الله المتين ، فلا شك أنه محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة ..

وأما تبصير هؤلاء الناس بحقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب : فلا شك أن هؤلاء على فئتين :

أ- فئة تجهل حقيقة الإسلام وتحكم عليه من خلال ما تراه من تصرفات شاذة تضخم صورتها في وسائل الإعلام فيأخذ تصوره عن الإسلام من ذلك الحدث .

ب- وفئة تعلم الحقائق ولكنها تعادي الإسلام وتكيد له ، وتستغل الأحداث للتنفير منه ، وتحقيق مكاسب لها في عداوتها لهذا الدين .اهـ([١])

ومن ثم لا مندوحة من التفكير قبل الأقدام علي هذه الكبيرة مهما كانت المبررات والغايات لأصحابها فالقتل فساد وإفساد وسفك للدماء لا يباح إلا في القصاص..

"ولقد شرع القصاص حماية لحق الحياة { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) } . البقرة وشرع حق الدفاع عن النفس ، وقرر أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته ، بل إن الإسلام كفل الحرية الشخصية للذمي وهو كافر إذا عاش تحت مظلة المسلمين ودفع الجزية ، والتزم الأحكام المطلوبة منه، ولم يغدر ."([٢])

وعلي هذا فكل ما نقرأه من حوادث عن سفك للدماء بغير حق والقتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق سواء كان القتل للسرقة أو الثأر أو غير ذلك في ديار المسلمين إنما هو من علامات الساعة واقتراب النهاية وهو عين ما حذر منه النبي ﷺ في قوله

(يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا : يا رسول الله ، أيم هو ؟ قال : (القتل القتل) . (رواه البخاري وسلم) .

---

[١] ـ **نقلا عن كتاب الإرهاب والعنف والتطرف ..تاليف: د. علي بن راشد الدبيان**

[٢] . **من كتاب دليل المرأة المسلمة لعلي الحجاج الغامدي**

ومعنى قوله : (يتقارب الزمان) ..وقيل معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها ، وقيل : هو دنو زمان الساعة ، وقيل : هو قصر مدة الأيام على ما روى (أن الزمان يتقارب ، حتى تكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كالساعة ، والساعة كاحتراق السعفة) . (رواه الترمذي وهو حسن صحيح) . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

والجواب علي ذلك واضح وضوح الشمس في كبد السماء وتأمل معي هذه الجرائم التي وقعت في مجتمعنا..

في جريدة الأخبار وبالتحديد يوم ١٩٩٩/٥/٢٨

نشر هذا الخبر قتل فلاح شقيقة العامل الزراعي بدس مبيد حشري له في قطعة بسبوسة ليتخلص منه نهائيا لينفرد بزوجته التي تربطه بها علاقة غرامية ،والفلاح وشقيقة وزوجته وكانوا جميعاً مسلمين يعني الديانة المسجلة في البطاقة الرسمية "مسلم"، والمسلم هو من شهد أن لا إله الله محمداً رسول الله.وأقام الصلاة ..الخ

فهل الإسلام يبح الخيانة الزوجية ؟!!

ألم يقطع النبي ﷺ دابر هذه الفتنة في حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الذي اخرجه البخاري ومسلم– باب الخلوة بالأجنبية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ

- وفي جريدة الاخبار يوم ١٩٩٩/٩/٣

نشر هذا الخبر ايضا " شقيقان يمزقان جسد شقيقهما بالسككين ويحرقان جسده بماء النار اكتشفا وجود علاقة آثمة بينه وبين شقيقته منذ عشر سنوات

وهما ايضاً من أهل لا إله إلا الله محمدا رسول الله ألم يقل النبي " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، ولكننا نترك الحبل علي الغارب حتي تقع الفأس في الراس كما يقولون .

فلماذا لا نفعل بهذه الوصية من البداية ونتق الله في أولادنا؟

ولو تركنا عام ١٩٩٩ وانتقلنا لعام ٢٠٠٨ في القرن لواحد والعشرين لوجدنا بيينا أمثال أبو جهل والوليد بن المغيرة وعبد الله بن أبي أبن سلول وغيرهم لايختلفون عن أخوانهم في القرن التاسع عشر والعشرين!!

وتأمل معي مانشرته جريدة الجمهورية يوم والأخبار وبالتحديد يوم الأثنين الماضي ٢٠٠٨/٧/١٢

قام بلطجي ومدمن مخدرات بتكتيف زوجتك الحامل بالحبال وضربها لأصرارها علي زيارة والدتها وظل يعتدي عليها بالضرب لمدة ٥ ساعات بلا رحمة ولم يتركها إلا جثة هامدة وبرر جريمته أنها كان يحاول تأديبها لان أمها كانت تسلطها عليه والعجيب أنها كانت أبنة عمه ولم يمر علي زواجهما إلا عام حدثت هذه الجريمة في المعادي ، فهل يبيح الإسلام التعذيب والقتل وقطيعة الرحم

*وفي نفس اليوم نشرت جريدة الأخبار إن نقيب الأطباء أمر بوقف طبيبة عن ممارسة الطب لأجرائها عملية قيصرية لامرأة حامل في عيادتها الخاصة التي كانت غير مجهزة بمستلزمات هذه العملية فضلا علي عدم الترخيص لها بذلك ، والنتيجة وفاة المرأة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهل يبيح الإسلام الإهمال والقتل من أجل المال .

* وهذه الجرائم لمسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله فكيف يستقيم هذا؟

وبناء علي ما سبق يتبين لك أخي القاريء أن كبيرة القتل من أهم أسباب ارتكابها والوقوع فيها أمرين وهما:

الأول الجهل بمنهج الله وسنة رسوله ﷺ

الثاني: حب الدنيا وشهواتها

وعلاج الأول بالعلم وهو نقيض الجهل ولقد حث الله ورسوله ﷺ علي تحصيل العلوم الشرعية في كثير من الآيات والأحاديث من ذلك علي سبيل الحصر:

-قوله الله تعالى: " وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً " طه: ١١٤٤

وأيضا: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ " الزمر: ٩

– وقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة (الترمذي في العلم (٢٦٤٦) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)

ومن ثم ينبغي علي المسلم أن يطلب العلم ويجتهد في ذلك ليتفقه في العلوم الشرعية والتي هي اشرف العلوم بجانب العلوم الدنيوية ليساهم مساهمة فعالة في إدراكه للواقع الذي يعيش فيه ويلتمس بنورها الطريق السليم الذي ينبغ عن سلوك واقتناع كامل بخطورة المشاكل والأزمات التي تعترض طريق سعادته وفلاحه دين ودنيا فيدرك ما ينبغي عمله حيال تصرفاته فينتهج بإرادته الحرة التي يدفعها إيمانه بالله وحبه لرسوله – صلى الله عليه وسلم – ثم علمه ومعرفته بما يرضي الله وما يسخطه عليه، وهذا يؤدي بالتبعة علي استقامة الأمر علي مستوي الأفراد والجماعات.

وما أجمل قول القائل:

العلم يحيي القلوب الميتة كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها مطر

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

وعلاج الأمر الثاني وهو حب الدنيا بمايلي:

أن تعلم يقيناً أن الدنيا دار لعب ولهو والآخرة خير وأبقي كما

قال تعالي (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢))-الأنعام

وأن وجودنا فيها جميعا لغاية وهدف إلا وهو عبادة الله وتوحيده ..

كما قال تعالي: (وماخلقت الجن والأنس إلا ليعبدون).. وحياتنا في الدنيا محدودة ..فلا أحد يدري كم يعيش ويعمر فيها؟!

ومن ثم ينبغي أن نفهم الدنيا علي حقيقتها لأن ذلك كفيل بالزهد فيها والبعد عن التقاتل من أجل زينتها وشهواتها الفانية ..

وحقيقة الدنيا التي يجب ان نحيط بها علماً ثلاثٍ :

١-اليقين بأنه لا بقاء لنا فيها الم يقل تعالي.. (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

وقال النبي ﷺ (كن في الدنيا كعابر سبيل)البخاري..فلماذا نتقاتل عليها ويأكل بعضنا لحم بعض..هل حبها عمي بصيرتنا عن سبب وجودنا فيها !!

- يقول البصري : ما عجبت من شئ كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر وأيم الله إن حبها من أكبر الكبائر وهل تتشعب الكبائر إلا من أجلها وهل عبدت الأصنام وعصى الرحمن إلا من لحب الدنيا وإيثارها

ـ والكثير من السلف تركوا كثير من الحلال مخافة أن يكون حراماً وبعداً عن الشبهات وكانوا زاهدين فيها راغبين عنها لا يتنطعون يأخذون من طيباتها ما يعينهم عن طاعتهم لله وهكذا يجب أن نكون.. وما أجمل قول الشاعر:

ولدتك أمك يا أبن أدم باكيا .. والناس حولك يضحكون سرورا

فأعمل ليوم إذا بكوا.. في يوم موتك ضاحكا مسروا

٢- اليقين بأنها دار بلاء وامتحان وليس دار جزاء وعملا ألم يقل تعالي (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١} الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ {٢}) تبارك

وأعلم أنك فيها كالسجين تنتظر لحظة الإفراج عنك لتستمتع بحياتك ألم يقل النبي ﷺ (الدنيا سجن المؤمن جنة الكافر) مسلم..

٣-اليقين بأنها دار فانية مسترجعة

نعم لا تنسي هذا أبا وخذ من الطيبات ما شئت ولكن اياك وطول الأمل فيها لأنه ينسي الأخرة واياك والحرام فهو ضياع للدارين وأعلم أن الستر والقناعة ولزوم الطاعة هم وسائل نجاتك من فتنتها ألم يقل النبي ﷺ (من أصبح أمنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها).. وأعلم أن الله يرث الأرض ومن عليها وأننا جميعا عنها راحلون وإلي غيرها منقلبون .. إلي من نفر وممن نفر ولا ملجأ من الله تعالي إلا إليه

ومن يدرك هذه الحقائق الجلية الواضحة سيدرك أنه كان يقاتل ويظلم ويسرق وهلم جرا من أجل سراب ووهم لايدوم وينتهي أما بموته أو فناء الدنيا نفسها والله المستعان

(٣) السحر

السحر في اللغة: يقال: سحره: خدعه (أى عمل له السحر) أو استماله وفتنه وسلب لبه ، وسحره عن كذا: صرفه وأبعده ، وجمع السحر أسحار ، وسحور، وصفة المذكر: ساحر والجمع سحرة وسحار، قال الأزهرى: وأصل السحر: صرف الشىء عن حقيقته إلى غيره ،فكأن الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق ،وخيل الشىء على غير حقيقته – قد سحر الشىء عن وجهه ، أى صرفه([١]). واصطلاحا: عمل يتقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، وهو كل عمل لطف مأخذه ودق ، وكل أمر يخفى سببه ويتخيل على نكير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع.

ولقد دأب الإنسان منذ فجر التاريخ على ممارسة السحر باعتباره وسيلة للسيطرة على الطبيعة، مثل: إسقاط الأمطار، أو حدوث التحاريق ، أو إثارة الريح والزوابع ، أو كسبب فى الأمراض والحوادث المميتة التى تصيب الإنسان والزرع والضرع ، ولذا قد شاع بين المجتمعات الوثنية، كما انتشر فى المجتمعات التى تدين بالأديان السماوية.

وكان موقف الكنيسة من السحرة متأرجحا، فقد تشددت فى محاربتهم فى بادىء الأمر، وعملت كل ما تستطيع لإبطال مفعول السحر السيئ والشرير، إذ أصدرت فى أواخر القرن التاسع الميلادى قرارا بتوقيع الحرمان الكنسى على السحرة، إلا أنها كانت أقل تشددا فى الفترة بين (١٢٥٨–١٢٦٠م)

حيث نصح البابا "ألكسندر الرابع" بعض المحققين فى محاكم التفتيش أن يبذلوا قصارى جهدهم فى اكتشاف الهرطقة والضرب عليها من حديد، مع ضبط النفس فى حالة السحرة، ثم عادت الكنيسة إلى اتخاذ موقف من السحرة أكثر تشددا فى عام ١٩٤٨م عندما أدخل البابا "أنسونت الثامن" تعديلات على الموقف البابوى المتساهل تجاه السحرة، وأصدرت تعليمات مشددة إلى محاكم التفتيش بألا تأخذهم أدنى شفقة أو رحمة بهم.

ويعتبر السحر من الموبقات السبع التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من الاقتراب منها، حيث أمر باجتنابها فى قوله صلى الله عليه وسلم (اجتنبوا الموبقات السبع ، قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال (الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ،وأكل الربا، والتولى يوم الزحف ،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) رواه مسلم.

وقد جاء فى الروايات أن حده القتل ، لقوله صلى الله عليه وسلم (حد الساحر ضربة بالسيف) رواه الترمذى.

ويرى الشافعى أن الساحر يقتل إذا كان يعمل فى سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملا دون الكفر فلا يقتل.

ومن ثم تدرك اخي القاري مما سبق أن السحر حرام وكفر و الساحر يقتل عند كثير من أئمة السلف وما يكسبه من أعمال السحر والدجل حرام وخبث ودليل ذلك من القرآن .

---

[١] - لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر، ط ٣، بيروت ، مادة سحر.

قوله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوت وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة١٠٢).

ولكن للأسف الشديد الناس في زماننا هذا في بلاء وضنك ويعتقد الكثير منهم إلا من رحم ربي أنه معمول له عمل و يقصد بذلك انه قد سحر لأن مزاجه غير رائق أو لأنه يكره زوجته ولايستطيع معاشرتها أو غير ذلك، وبدلاً من أن يلجأ إلى الله تعالى ويستعين بالشفاء بالرقية الشرعية ينحرف ويطيع هواه وشيطانه ورفقاء السوء ويلجأ إلي العرافين والدجالين لعمل الأحجبة والتعاويذ التي تفك السحر ،ويقع في الشرك والعياذ بالله ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم .

أين هؤلاء الغافلين من قول الله تعالى:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ (الأنعام ١٧)..

ثم إن هؤلاء الدجالين والكهان الذين يدعون العلم بالنجوم والكواكب إنما يمارسون أعمال شركية وشيطانية .

بدليل قول صلى الله عليه وسلم : (من اقتبس علما من النجوم اقبس شعبة من السحر زاد ما زاد)[1]

أي كلما زاد في سحره زاد في كفره .أما علم الفلك ودراسة النجوم وأبعادها ومنازله ومداراتها بالملاحظة وألا ت الرصد وغير ذلك فهو علم له أصوله وقواعده وليس فيه شرك إنما هو كالأخذ بالأسباب والنتائج على رب الأرباب سبحانه وذلك عكس التنجيم تماماً فهو شرك وكفر لأن العاملين به يدعون معرفة المستقبل والغيب .

وأعلم أخي القاريْ أن السحر ليس سوى محض تمويه ، بدليل قوله تعالى {فلما ألقوا سحروا أعين الناس}الأعراف:١١٦ ..

قال المفسرون: لو كان السحر حقا، لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم ، فثبت أن المراد: أنهم تخيلوا أحوالا عجيبة مع أن الأمر فى الحقيقة ما كان على وفق ما تخيلوا ، ذلك أن السحرة أتوا بالحبال والعصى، ولطخوا تلك الحبال بالزئبق ،وجعلوا الزئبق فى دواخل تلك العصى، فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوت بعضها على بعض –وكانت كثيرة جدا – تخيل الناس أنها تتحرك وتتلوى باختيارها وقدرتها.([1])

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

باليقين بأنه لانافع ولاضار إلا الله تعالي ، وأن العبد أن كان ملتزماً بحدود الله وتعاليم رسوله فأنه لن يضره شيء والله تعالي تكفل بحفظه..

---

[1]–أخرجه ابو داود فى الطب (٣٤٠٦) وأبن ماجه فى الأدب (٣٧٢٦)

[1] . أ.د/محمد شامة . من موسوعة المفاهيم الاسلامية

ولقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال " احفظ الله يحفظك ' أحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فأسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أم الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ' وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ' رفعت الأقلام وجفت الصحف) (أخرجه الترمذي ٢٥١٦/٤) (وأحمد في مسنده ٢٩٣/١) وإسناده صحيح .

قال المباركفوري(٢) في شرح حديث الترمذي ما مختصره:

قوله : (احفظ الله) أي في أمره ونهيه (يحفظك) أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات ، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات (احفظ الله تجده تجاهك) قال الطيبي : أي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك ، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة (إذا سألت) أي أردت السؤال (فاسأل الله) أي وحده لأنه قادر على الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع (وإذا استعنت) أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة (فاستعن بالله) فإنه المستعان وعليه لتكلان (رفعت الأقلام وجفت الصحف) أي كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر ، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته اه

قلت: ما أعظمها من وصية جامعة ،فحفظك لحقوق الله عليك من صلاة وصوم وغير ذلك..

يجعل لله يحفظك في دنياك من كل سوء كان.

ومادام الإنسان يرقي نفسه ويستعين بالله في كل أمر ويصبر علي بليته ولا يخاف أحد ولا يؤمن بما يخالف سنن الله في خلقه من خيالات يرويها أصحاب القلوب المريضة ليضحكون بها على العقول ويكسبون من ورائها أموالاً طائلة فأن الله سيجعل له من كل هماً فرجا ومن كل ضيقاً مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والعكس بالعكس والله المستعان.

.

(٤) ترك الصلاة

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين ، وهي الصلة التي تربط العبد بربه خمس مرات في اليوم ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ..لماذا ؟

لأنها تجعل العبد دائماً مراقباً لله تعالى في أعماله وأقواله .. في ذهابه وإيابه .. في سريرته وعلانيته لأنه سبحانه معه حيث كان فتطمئن نفسه وتسكن جوارحه ويستريح قلبه وفؤاده من هموم الدنيا ومتاعبها ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حان وقت الصلاة يقول لمؤذنة بلال رضى الله عنه (أرحنا يا بلا ل بالصلاة) ، وهكذا كان سلفناً الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خير قرون البشرية على الإطلاق كما قال صلى الله عليه واله وسلم كانوا على هدي نبيهم في المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها وعدم التهاون فيها أو التكاسل عنها حفظاً لراحتهم وسكينتهم وجمعاً لهم بين خير الدنيا والآخرة .

ثم جاء أحفاد هذا السلف من أبناء القرن الواحد والعشرين الذي كثرت فيه الفتن ، وتفشت به المنكرات ، واختلطت فيه الأمور والمعايير وصار الحق باطلاً والباطل حقاً .. والسنة بدعة والبدعة سنة ، وطغت العادات والتقاليد على تعاليم الكتاب والسنة وترك كثيرًا من العباد الصلاة إلا من رحم ربي.

وسواء كان من تركها كسلاً أو تعمدًا فالأمر سيان لأن المصيبة واحدة فترك الصلاة ترك لأعظم شعائر الإسلام .

فيا حسرة علي العباد..ما هو عذر من يترك الصلاة وما رخص النبي صلي الله عليه وسلم في تركها إلا لثلاثة ..(المجنون حتى يفيق ، والصبي حتى يبلغ الحلم ، والنائم حتى يستيقظ) فتارك الصلاة واحداً من هؤلاء الثلاثة وكل إنسان ادري بحقيقة نفسه.

وهناك من يقول إنه لا يعرف كيف يتوضأ ولا يعرف الكتابة ولا القراءة لذلك هو لا يحفظ شيئاً من القرآن ويجد في ذلك عذراً بترك الصلاة ، وهذا عذر أقبح من الذنب نفسه لأن الله تعالى حث على العلم فقال جل شأنه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِين لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }(الزمر ٩)

وقال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (المجادلة ١١)

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على العلم فقال: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) –رواه مسلم والترمذي

وإن كان هذا عذر من يجهل القراءة والكتابة فماذا عن حملة المؤهلات العليا من المهندسين والأطباء والمحاسبين وهلم جرا ؟!! ..

ما عذرهم وحجتهم في ترك الصلاة.. هل هو الجهل أيضاً بالدين ؟!! أم أنه الكبر وحب الدنيا واتباع الهوى ! نعم.. لا ريب أننا نعيش فقر ثقافي وديني ، ولا أجد ما أقوله لهؤلاء وهؤلاء إلا قوله تعالى جل شأنه: { بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {١٤} وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ{١٥}} (القيامة ١٤-١٥)

نعم .. لقد صارت الصلاة عند هؤلاء ثقيلة على القلوب وصار لسان حالهم يقول (أرحنا من الصلاة يا بلا ل) وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ومن ثم بناء علي ما سبق كان تركها من الكبائر العظيمة..

وكيف لا وقد قال جل شأنه ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا{٥٩} إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ شَيْئًا {٦٠} ﴾(مريم ٥٩ – ٦٠).

قال بن كثير في تفسيره ما مختصرة:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ أي قرون أخر، ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غياً، أي خساراً يوم القيامة، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة هاهنا، فقال البعض: المراد بإضاعتها تركها بالكلية ، وقال غيرهم كالأوزاعي: إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً.

وقال الأوزاعي: قرأ عمر بن عبد العزيز: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة}، ثم قال: لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت، وقال مجاهد: ذلك عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة، وقال الحسن البصري: عطَّلوا المساجد ولزموا الضيعات) [١].

وقال تعالي: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ {٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ {٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ {٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ {٤٥} وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ {٤٦} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ {٤٧ }فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ {٤٨}﴾ (المدثر/٤٢–٤٨)

وفي السنة الصحيحة عشرات من الأدلة فيها من التحذير والوعيد ما يجعل ترك الصلاة كبيرة من أعظم الكبائر التي تؤدي بصاحبها إلي النار والعياذ بالله الرحيم منها من ذلك :–

* ما رواه الترمذى بسند صحيح عن بريدة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)[٢]

* ما رواه أحمد بسند جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وابن أبي خلف)[٣]

* ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال(سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[٤]

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/١٢٥)

٢- أخرجه الترمذى في الإيمان(٢٦٢١) ، وابن ماجة في إقامة الصلاة(١٠٧٩)

٣– أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة(٦٥٤٠) وإسناده جيد.

٤- أخرجه مسلم في الإيمان- باب إطلاق أسم الكفر علي منة ترك الصلاة رقم(٨٢)

وقال النووي في شرح الحديث ما مختصره:- (ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة ، فإذا تركها لم يبق بينه وبين

الشرك حائل ، بل دخل فيه . وأما تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين ، خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف . وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر..) ا

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

لايكون ذلك إلا بأداء الصلاة وعلي الوجه الأكمل وما أغنانا عن كل ما سبق ذكره بطاعتنا لله تعالى والوقوف بين يديه نادمين مستغفرين وهو سبحانه غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب

وأريد هنا تنبيه القاريء لأمر هام يلبسه عليه الشيطان ليترك الصلاة بالكلية ولو بعد حين ..ألا وهو استحلال الصلاة في البيوت بغير عذر شرعي وهاهو البيان والتوضيح ليكون ذلك حصناً له من كيده وتلبيسه والله المستعان..

**** حكم الصلاة في البيوت:-**

تارك الصلاة وقد أدركنا مصيره البائس ..فماذا عمن يستحل لنفسه الصلاة في البيوت.؟. ما حكم الدين فيه ؟

لقد أحزنني كثيراً أن بيوت الله جل وعلا في الصلوات الخمس خالية إلا ممن رحم ربي .

لقد هجرها العباد في الوقت الذي عمروا فيه دور السينما والمسارح وافترشوا الحدائق والنوادي وخالفوا ما كان عليه نبيهم صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة الصالح من المحافظة على أداء الصلوات جماعة في المسجد وتعمير بيوت الله وعدم الصلاة في البيوت إلا لأصحاب الأعذار وللأسف الشديد تجد الكثير من المساجد روادها لا يتعدون أصابع اليد الواحدة وخصوصاً في صلاة الفجر والعشاء وهما أثقل صلاة على المنافقين كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

(ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً)[١]

والسؤال الذي يطرح نفسه أين يذهب العباد ؟ لماذا يتركون الصلاة في بيوت الله ويفضلون الصلاة في ديارهم ؟

هل الصلاة في الديار سنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ ما هي الأعذار في ترك الصلوات المفروضة في بيوت الله تعالى ؟ هل من الأعذار أن مباراة القمة حامية الوطيس وتحدد بطل الدوري ونحن شعب يحب الكرة ، والكرة أجوال كما يقولون وربك رب قلوب وهو أرحم الراحمين ؟

١- أخرجه البخاري في الأذان (٦٥٧) ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة(٦٥١)

أما من الأعذار المبيحة للصلاة في البيوت أن الليلة الحلقة الأخيرة من المسلسل العربي وصلاة العشاء ممدودة إلى الفجر ؟!!

وربما ينام ولايقوم بعدها ابداً!!

ألا يكون بذلك قد ترك الصلاة متعمداً حتى خرج وقتها بدون عذر مقبول شرعاً فيكون ممن قال الله تعالي فيهم : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {١} فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ {٢} ﴾ (الماعون ١-٢).

وويل وادي في جهنم تستعيذ منه النار لشدة حره والعياذ بالله رب العالمين وعليك أخي المسلم بالمحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها كما قال تعالي :

﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء ١٠٣)

وأحذر ترك الجماعة في بيوت الله بدون عذر وهاهي الأعذار الشرعية للصلاة في البيوت أو تأخيرها حتى نكشف الغمة ونزيل الالتباس والله المستعان .

****الأعذار الشرعية للصلاة في البيوت:**

يرخص التخلف عن الجماعة في الحالات الآتية :-

١- البرد أو المطر الشديد والدليل على ذلك :-

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر مؤذنا يؤذن ثم يقول علي إثره (ألا صلوا في الرحال في الليلة الباردة المطيرة في السفر)[١]

- وعن جابر رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرنا فمطرنا فقال : (ليصل من شاء منكم في رحله " أي منزله ")[٢]

قال الفقهاء : ومثل البرد الحر الشديد والظلمة والخوف من ظالم وقال ابن بطال : أجمع العلماء على أن التخلف عن الجماعة في شدة المطر والظلمة والريح وما أشبه ذلك يباح .

٢- حضور الطعام :-

والدليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا العشاء ولا يعجل حتى يفرغ منه)[٣]

ويلاحظ أن : . جمهور الفقهاء يرى كراهة تقديم الصلاة على الطعام إذا حضر ومحل ذلك إذا اتسع الوقت وألا لزم تقديم الصلاة .

١- أخرجه البخاري في الأذان(٦٣٢) ، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها(٦٩٧)
٢- أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٦٩٨)، والترمذي في الصلاة (٤٠٩)
٣- أخرجه البخاري في الأذان(٦٧٤) ، ومسلم في المساجد(٥٥٩)

أما الاحتيال وإتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء التي طبعت على حب المعصية والكسل فيبيح الإنسان لنفسه ترك صلاة الجماعة بحجة حضور الطعام ثم لا يأكل ما يسد جوعه وينهض ليلحق بالصلاة وإنما يفترش ويأكل ويطيل وربما يشرب الشاي ويدخن له سيجارة حتى لا يبقى أحد في المسجد ثم يقول قد فاتته الصلاة وهو معذور.. ليصلي إذا في بيته فهذا وأمثاله نقول له قول الله تعالى : ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {١٤} وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ {١٥} ﴾ (القيامة ١٤ – ١٥)

٣- مدافعة الأخبثين ..

ودليل ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافع الأخبثين)[١]

ومن ثم.. فأن ترك الجماعة مع القدرة عليها ودون عذر ضياع لثواب عظيم واذكر هنا حديثاً واحداً فيه الكفاية ليدرك المسلم ما في ترك الجماعة من ضياع لثواب عظيم سوف يندم عليه بعد ذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم (صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعن له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث تقول : اللهم صل عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة)[١].. نسأل الله تعالي السداد والتوفيق والبعد عن كبائر الذنوب أنه ولي ذلك والق ادر عليه .

١- أخرجه البخاري في الصلاة (٤٧٧) ، ومسلم مختصراً في المساجد (٦٤٩)

١- أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٠) ، وأبو داود في الطهارة (٨٢)

(٥) الربا

التعامل بالربا من كبائر الذنوب وكفي زجرا لمن يستحل ذلك قول الله تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)) البقرة

قال صاحب الظلال في تفسيرها ما نصه:

الوجه الآخر المقابل للصدقة التي عرض دستورها في الدرس الماضي . . الوجه الكالح الطالح هو الربا!

الصدقة عطاء وسماحة ، وطهارة وزكاة ، وتعاون وتكافل . . والربا شح ، وقذارة ودنس ، وأثرة وفردية . .

والصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد . والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه . من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده . ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر ، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئاً . ..ثم قال:

ومن ثم فهو – الربا – الوجه الآخر المقابل للصدقة . . الوجه الكالح الطالح!

لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمح الطاهر الجميل الودود! عرضه عرضاً منفراً ، يكشف عما في عملية الربا من قبح وشناعة . ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع ، وفساد في الأرض وهلاك للعباد .

ولم يبلغ من تفظيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفظيع الربا . ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا – في هذه الآيات وفي غيرها في مواضع أخرى – ولله الحكمة البالغة . فلقد كانت للربا في الجاهلية مفاسده وشروره . ولكن الجوانب الشائهة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم وتكشفت في عالمنا الحاضر ، ولا كانت البثور والدمامل في ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلها كما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث . فهذه الحملة المفزعة البادية في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت ، تتكشف اليوم حكمتها على ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية ، أشد مما كانت متكشفة في الجاهلية الأولى . ويدرك – من يريد أن يتدبر حكمة الله وعظمة هذا الدين وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام – يدرك اليوم من هذا كله ما لم يكن يدركه الذين واجهوا هذه النصوص أول مرة . وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدّق كل كلمة تصديقاً حياً مباشراً واقعاً . والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة من جراء هذا النظام الربوي . في أخلاقها ودينها وصحتها واقتصادها . وتتلقى – حقاً – حرباً من الله تصب عليها النقمة والعذاب . . أفراداً وجماعات ، وأمماً وشعوباً ، وهي لا تعتبر ولا تفيق!

وحينما كان السياق يعرض في الدرس السابق دستور الصدقة كان يعرض قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي يريد الله للمجتمع المسلم أن يقوم عليه ، ويحب للبشرية أن تستمتع بما فيه من رحمة . . في مقابل ذلك النظام الآخر الذي يقوم على الأساس الربوي الشرير القاسي اللئيم .

أنهما نظامان متقابلان : النظام الإسلامي والنظام الربوي! وهما لا يلتقيان في تصور ، ولا يتفقان في أساس؛ ولا يتوافقان في نتيجة . . إن كلاً منهما يقوم على تصور للحياة والأهداف والغايات يناقض الآخر تمام المناقضة .

وينتهي إلى ثمرة في حياة الناس تختلف عن الأخرى كل الاختلاف . . ومن ثم كانت هذه الحملة المفزعة ، وكان هذا التهديد الرعيب!

إن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادي – ونظام الحياة كلها – على تصور معين يمثل الحق الواقع في هذا الوجود . يقيمه على أساس أن الله – سبحانه – هو خالق هذا الكون . فهو خالق هذه الأرض ، وهو خالق هذا الإنسان . . هو الذي وهب كل موجود وجوده . .

وإن الله – سبحانه – وهو مالك كل موجود بما أنه هو موجده قد استخلف الجنس الإنساني في هذه الأرض؛ ومكنه مما ادخر له فيها من أرزاق وأقوات ومن قوى وطاقات ، على عهد منه وشرط . ولم يترك له هذا الملك العريض فوضى ، يصنع فيه ما يشاء كيف شاء . وإنما استخلفه فيه في إطار من الحدود الواضحة . استخلفه فيه على شرط أن يقوم في الخلافة وفق منهج الله ، وحسب شريعته . فما وقع منه من عقود وأعمال ومعاملات وأخلاق وعبادات وفق التعاقد فهو صحيح نافذ . وما وقع منه مخالفاً لشروط التعاقد فهو باطل موقوف . فإذا انفذه قوة وقسراً فهو إذن ظلم واعتداء لا يقره الله ولا يقره المؤمنون بالله . فالحاكمية في الأرض – كما هي في الكون كله – لله وحده . والناس – حاكمهم ومحكومهم – إنما يستمدون سلطاتهم من تنفيذهم لشريعة الله ومنهجه ، وليس لهم – في جملتهم – أن يخرجوا عنها ، لأنهم إنما هم وكلاء مستخلفون في الأرض بشرط وعهد وليسوا ملاكاً خالقين لما في أيديهم من أرزاق .اهـ

قلت : ولقد شبه الله تعالي الذين يستحلون التعامل بالربا والاحتيال في ذلك بمن يتخبطه الشيطان كما قال تعالي :

{ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم }

وجاء في كتاب : الزواجر عن اقتراف الكبائر ما نصه:

الربا لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما وهو ثلاثة أنواع : ربا الفضل : وهو البيع مع زيادة أحد العوضين المتفقي الجنس على الآخر .

وربا اليد : وهو لبيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما عن التفرق من المجلس أو التخاير فيه بشرط اتحادهما علة بأن يكون كل منهما مطعوما أو كل منهما نقدا وإن اختلف الجنس .

وربا النساء : وهو البيع للمطعومين أو للنقدين المتفقي الجنس أو المختلفية لأجل ولو لحظة وإن استويا وتقابضا في المجلس .

فالأول : كبيع صاع بر بدون صاع بر أو بأكثر أو درهم فضة بدون درهم فضة أو بأكثر سواء أتقابضا أم لا ، وسواء أجلا أم لا .

والثاني : كبيع صاع بر بصاع بر ، أو درهم ذهب بدرهم ذهب ، أو صاع بر بصاع شعير أو أكثر ، أو درهم ذهب بدرهم فضة أو أكثر ، لكن تأخر قبض أحدهما عن المجلس أو التخاير .

الثالث : كبيع صاع بر بصاع بر أو درهم فضة بدرهم فضة ، لكن مع تأجيل أحدهما ولو إلى لحظة وإن تساويا وتقابضا في المجلس .

والحاصل : أنه متى أستوى العوضان جنسا وعلة كبر ببر أو ذهب بذهب اشترط ثلاثة شروط : التساوي وعلمهما به يقينا عند العقد والحلول ، والتقابض قبل التفرق ، ومتى اختلفا جنسا واتحدا علة كبر بشعير أو ذهب بفضة اشترط شرطان الحلول والتقابض وجاز التفاضل ، ومتى اختلفا جنسا وعلة كبر بذهب أو ثوب لم يشترط شيء من هذه الثلاثة ؛ فالمراد بالعلة هنا إما الطعم بأن يقصد الشيء للاقتيات أو الأدم أو التفكه أو التداوي .

وأما النقدية : وهي منحصرة في الذهب والفضة مضروبة وغيرها فلا ربا في الفلوس وإن راجت ، وزاد المتولي نوعا رابعا وهو ربا القرض ، لكنه في الحقيقة

رجع إلى ربا الفضل لأنه الذي فيه شرط يجر نفعا للمقرض فكأنه أقرضه هذا الشيء بمثله مع زيادة ذلك النفع الذي عاد إليه ، وكل من هذه الأنواع الأربعة حرام بالإجماع بنص الآيات المذكورة والأحاديث الآتية ، وكل ما جاء في الربا من الوعيد شامل للأنواع الأربعة ، نعم بعضها معقول المعنى وبعضها تعبدي ، وربا النسيئة هو الذي كان مشهورا في الجاهلية لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدرا معينا ورأس المال باق بحاله ، فإذا حل طالبه برأس ماله ، فإن تعذر عليه الأداء زاد في الحق والأجل ، وتسمية هذا نسيئة مع أنه يصدق عليه ربا الفضل أيضا لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات وهذا النوع مشهور الآن بين الناس وواقع كثيرا .اهـ

ومن العجيب بعد كل هذا تسمع من يحل التعامل بالربا بفتاوي شاذه تخالف ما أجمع عليه العلماء وذلك بتغيير الكلمات فغيروا كلمة فوائد التي ترتبط في أذهان الناس بالربا إلي عوائد وكأنما الحرام يصير حلالاً بتغيير أسمه!!

ولقد كشفهم الله عندما قال جل شأنه (يخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)). البقرة

وخلاصة المسألة أن تعلم أخي القاريء يقيناً أن كل مال كان من الربا فإن مصيره في هذه الدنيا الخسار والبوار لأن الربا كبيرة من الكبائر العظيمة وإياك والتعامل به ولا يغرك خطباء الفتنة وأدعياء العلم و كثرة الهالكين من المتعاملين به فأن الحق أحق أن يتبع والله المستعان

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

اعلم أخي اللقاريء أن الله تعالى ما ظلم العباد شيئاً فقد خلقنا في أحسن تقويم وأنعم علينا بنعم لا حصر لها من سمع وبصر وحواس أخرى وبعث الرسل والأنبياء الينا مبشرين ومنذرين وما حرم علينا شيئاً إلا جعل لنا بديلاً حلالاً .

فهو سبحانه حرم علينا الزنا وأحل لنا الزواج .. حرم الربا وأحل البيع .. حرم الخمر وأحل لنا باقي المشروبات وهكذا ..

ثم أنه سبحانه يسر لنا أمر العبادات، فرخص لنا بالإفطار في رمضان لعذر كالسفر أو المرض .

وكذلك في الصلاة رخص لنا تأديتها قعوداً أو حسب الاستطاعة ، وما يقال عن الصيام والصلاة يقال عن باقي العبادات فديننا يسر ولله الحمد والمنة .

ومن ثم يكون من ظلمك لنفسك ان تخرجج عما أحله الخالق جل وعلا إلي ماحرمه وانذر من يتعامل به بالحرب

فكن مسلما حقاً بعدم التعامل مع البنوك الربوبية والحذر من البيوعات الربوبية المشبوهه وأرجع في كل يبهمك إلي العلماء الثقات من أهل السنة وحذار من خطباء الفتنة وعلماء الدنيا الذين يشككون الناس في دينهم فيسمع المرء منهم وينكر..

لماذا شهادة الرجل بشهادة امرأتين ؟!

ولماذا يحرم الربا وعليه يقوم الاقتصاد العالمي ؟!

ولماذا نصيب الرجل في الميراث كنصيب امرأتين ؟! ، ولماذا لا تسافر المرأة بدون محرم وإذن الزوج ؟! .. الخ ..

ويعتقدون أنهم أصحاب رؤية تقدمية وإنهم يدافعون عن الدين أكثر من أهله من العلماء ورثة الأنبياء، والله يعلم أنهم كاذبون .. قال تعالى :

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)) (البقرة) .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٦) منع الزكاة

قال تعالى : { يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون }

قال أهل العلم:

إن الفاجر والكافر ومانع الزكاة يوم القيامة ينفخه الله تعالى ويضخمه حتى يكون مقعده من النار كما بين مكة والمدينة، ويكون كل ضرس من أضراسه كجبل أحد، فيؤخذ ماله ويؤتى به لا يفقد منه أوقية ولا خمس أواق ولا عشر أواق ولا عشرين أوقية، فيذاب ويوضع، لا يوضع منه درهم فوق درهم ولا دينار فوق دينار، حتى يكسى به جنبه ووجهه وظهره نسأل الله السلامة العافية، كلما تغير جلده أحمي مرة أخرى في نار جهنم وأعيد إليه، فلذلك يعرض جنبه ووجهه حتى يلصق به كل ماله، لا يفقد منه دينارا ولا درهما ولا يجعل دينار فوق دينار ولا درهم فوق درهم، نسأل الله السلامة العافية.

كذلك فإن من منع زكاة متوعد بعذاب القبر في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن مانع الزكاة إذا وضع في قبره أتاه شجاع أقرع في قبره، ولا يزال يلدغه ويؤذيه)، وهذا نوع من أنواع عذاب القبر، فمنع الزكاة من أسبابه.

وكذلك من العقوبات المعجلة لمانع الزكاة في الدنيا بغض الناس له، فالناس جميعا يبغضون مانع الزكاة ويبغضون البخيل، حتى البخلاء بعضهم يبغض بعضا، ومانعوا الزكاة بعضهم يبغض بعضا، وهذه حكمة واضحة معروفة، فهي من العقوبات الدنيوية المعجلة.

إن هذه الزكاة لو أخذ بحقها الصحيح ووزعت بين الناس بالعدالة التي بينها الله سبحانه وتعالى حيث لم يكل قسمتها إلى ملك مقرب ولا إلى نبي مرسل، بل تولى قسمتها في كتابه في قوله تعالى: { إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله } [التوبة:٦٠] ، ولو وزعت هذا التوزيع الصحيح لما حصلت مجاعة في الأرض، ولما وجد فيها من الفقراء من لا يجد لقمة عيشه ويبيع دينه بسبب فقره، أو يقع في كثير من المناكر بسبب حاجته، فلو أديت هذه الزكاة على الوجه الصحيح لحالت دون كثير من الرذائل.

فكثير من الرذائل من ورائها الفقر، ولهذا جعل الرسول صلى الله عيله وسلم الفقر قرينا للكفر في قوله: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)، فالفقر داع لكثير من الرذائل، فيجد الإنسان فيه مذلة وطمعا في غير الله، وخوفا من غير الله، وكذلك يسعى في كثير من الأحيان للحصول على المال بأوجه غير صحيحة، كالسرقة والغش والخداع وغير ذلك.

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره } أي ويوسع جسمه لها كلها وإن كثرت .

كما رواه الطبراني عن ابن مسعود : { كلما بردت أعيدت له في كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل يا رسول الله فالإبل ؟ قال ولا صاحب إبل لا يؤدي حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر : أي مكان أملس ، أوفر : أي أسمن ما كانت لا يفقد فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار([1]) .اهـ

قلت : وهناك آيات أخري كثير تحذر من منع الزكاة من ذلك:

قوله تعالى – : { وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة } ..ولاحظ كيف وصفهم الله بالمشركين وليس بالمسلمين ، ولهذا لا عجب أن حارب الصديق من أمتنعوا عن أخراج الزكاة في حربه مع المرتدين علي الرغم من أقرارهم بالإسلام .

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

والجواب بالخوف من الله وسوء الخاتمة ويعينك علي ذلك أن كنت ممن يعلم فضل العلماء وتبتغي الحق أينما كان ..

وأن تدرك خطورة إهمالك بترك أخراج زكاة مالك وأنت ممن ينطبق عليك شروطها، ومن إليك هذه الفتوي للعلامة أبن العثيمين رداً علي سؤال هام جدير بنا جميعاً أن نتدبره لأن الكثير من الناس يتركون الصلاة والزكاة ويتعاملون بالربا ..الخ

ويظنون أن شهادتهم وأعمال الخير التي يفعلونها كفيلة بنجاتهم من النار وإنهم علي ملة الإسلام وتركهم للصلاة أو الزكاة أمر لا يقدح في صحة إسلامهم ، وهذا من العجب العجاب ولا حول ولا قوة ولا بالله العلي العظيم.

سئل ابن العثيمين . رحمه الله . هذا السؤال :

كثير من الناس لا يؤدون شرائع الإسلام، وإذا طُلب من أحدهم تأديتها قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،وهذا ما طُلب من الرسول تحصيله بالقتال، فإذا قالوا ذلك فقد عصموا منه دماءهم وأموالهم، ولذا يرددون: الإسلام مجرد النطق بكلمة التوحيد؟

أجاب فضيلته:

نقول: هذا الفهم الذي فهمه هذا السائل وغيره خطأ عظيم فادح، حيث يظنون أن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وإنما هذا مفتاح الإسلام للدخول فيه، وأما الإسلام فإنه هذا مع الشرائع الأخرى، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :(فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها). وقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه، قاتل من منع الزكاة، ولما راجعه عمر في ذلك قال: الزكاة حق المال، والزكاة من حقوق الإسلام التي لابد منها. وكذلك الصلاة والحج والصيام، لكن من هذه الحقوق ما يكون تركه كفراً، كما في الصلاة التي ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنها هي التي بين الرجل وبين الكفر والشرك، وأنها هي العهد الذي بيننا

---

[1] / من محاضرات الشيخ عائض القرني . حفظه الله

وبين الكفار؛ ومن حقوق الإسلام ما لا يكون تركه كفراً بحسب ما تقتضيه النصوص الشرعية. والمهم أن الإسلام ليس مجرد النطق بالشهادتين، وكيف يكون مسلماً من يقول: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو لا يقوم لله ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم بالحق الواجب لهما؟ إذا كان يشهد ألا إله إلا الله فلماذا لا يقوم بحقه؟ لماذا لا يعبده؟ إذا كان يقول: أشهد أن محمداً رسول الله لماذا لا يقوم بحقه؟ لماذا لا يتبعه؟ فلابد من عبادة الله، ومن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا مجرد النطق بالشهادتين لا يكفي، المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنهم لا يأتون بأركان الإسلام، فلذلك لم يكونوا مؤمنين.اهـ

(٧) الزنا

الزنا من الكبائر التي انتشرت في كل أرجاء المعمورة في واقعنا المعاصر وليس في بلاد المسلمين فقط ، وهي كبيرة تؤدي إلي عواقب وخيمة كاختلاط الأنساب وتفشي الأمراض والأوبئة ..الخ

وتأمل قول الله تعالي بالتحذير من الوقوع فيه وليس بمن وقع فعلاً.. قال تعالي (**وَلَا تَقْرَبُوا** الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)) الإسراء

قال ابن كثير في تفسيرها ما مختصره :

يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه (٦) ودواعيه { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } أي: ذنبًا عظيمًا { وَسَاءَ سَبِيلا } أي: وبئس طريقًا ومسلكًا.

و عن أبي أمامة قال: إن فتى شابًا أتى النبي (٧) صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال: "ادنه". فدنا منه قريبًا (٨) فقال (٩) اجلس". فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" . قال: "أفتحبه لابنتك"؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" ، قال: "أتحبه لأختك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال: "أفتحبه لعمتك"؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.اهـ

وقال صاحب الظلال:

أن في الزنا قتلاً من نواحي شتى . إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها ، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة ، أو حياة مهينة ، فهي حياة مضيعة في المجتمع على نحو من الأنحاء . . وهو قتل في صورة أخرى . قتل للجماعة التي يفشو فيها ، فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العرض والولد ، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها ، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات .

وهو قتل للجماعة من جانب آخر ، أذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها ، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة ، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه .

وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال ، منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث . وقد يغر بعضهم أن أوربا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما . ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها كفرنسا ظاهرة لا شك فيها . أما في الأمم الفتية كالولايات المتحدة ، فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشاب الذي يصرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في

بنيته وهو شاب ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة فلا يقوى على احتمال آثار السن ، كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده!

والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا . وهي مبالغة في التحرز . لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن . فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان .

ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة ، توقياً للوقوع فيه . . يكره الاختلاط في غير ضرورة . ويحرم الخلوة . وينهى عن التبرج بالزينة . ويحض على الزواج لمن استطاع ، ويوصي بالصوم لمن لا يستطيع . ويكره الحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور . وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد . ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم . ويوقع أشد العقوبة على الجريمة حين تقع ، وعلى رمي المحصنات الغافلات دون برهان . . إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج ، ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردي والانحلال .اهـ

ولا عجب بعد كل ذلك أن الزنا من الموبقات السبعة في الحديث الذي ذكرناه سلفاً ..

والجدير بالذكر هنا ما أثار عجبنا في بلدنا الحبيبة مصر عن جريمة تبادل الزوجات أو بالأصح الزنا بين المتزوجين التي قام بها رجل وزوجته ونسجل هنا الخبر مختصرا كما جاء علي شبكة الانترنت ..

. الزنا في العصر الحديث

نص الخبر "كشفت محادثات الانترنت بين زعيم شبكة تبادل الزوجات وعملائه الذين استقطبهم وتبادل معهم الزوجات وأقام لهم سهرات حمراء في شقته بالقاهرة أسرارا جديدة عن واحدة من أغرب الجرائم التي شهدها المجتمع المصري.

وخلال التحقيقات ، وقف "المتهم" هادئاً يكاد يكون بارداً أكثر من برود ألواح الثلج يرد علي الأسئلة بكل صراحة وبلا خجل أو كسوف مما حدث ويريد أن يخرج بأي طريقة لأنه لم يرتكب "كما يزعم" جريمة بالمعني الكامل بدعوي أنه لا توجد مواد قانونية تعاقب علي مثل هذا الفعل الفاحش. وادعى انه لو كان يريد ممارسة الجنس فهو لا يغلب في هذا الأمر ولكنه كان يريد أن ينشر ثقافة موقع إباحي يملكه شخص عراقي الجنسية ولديه جذور يهودية التي تعتمد علي تبادل الزوجات.

وقال إنه أرسل رسالة إلى صاحب الموقع منذ فترة تزيد على ٦ أشهر يطلب منه أن يمده بمعلومات عن إمكانية افتتاح فرع له في مصر. ..ودخل الشخص العراقي صاحب الموقع الاباحي على الشات يقدم لي خدماته بالمجان وسلمني إيميلات أشخاص في الدول العربية يريدون أن ينفذوا الفكرة في إحدي هذه الدول، كما أهداني مساحة إعلانية لموقعي علي الإنترنت في مكان ظاهر يدخل في كل المواقع لضمان انتشار اكبر . ويضيف خلال أيام فوجئت بالعديد من الشباب يدخل الموقع متسائلين عن شروط تبادل الزوجات ووجدت نفسي أمام عشرات الطلبات التي تطلب مني تحديد موعد المقابلة.

كانت بداية سقوط هذه الشبكة عندما ظهر الموقع أمام أجهزة الأمن بمحافظة الجيزة فتم على الفور اعداد خطة لكشف غموض الموقع الذي يثير الفتنة بين الزوجات والأزواج. وقامت اجهزة الامن بمتابعته مع إحدي الفتيات

الجميلات حتى يقع طلبة في الفخ وبدأ أحد الضباط يتحدث لزعيم الشبكة طالبا منه الدخول في الموقع وتبادل الزوجات، ووضع الكاميرا علي وجهه وبعدها شاهد طلبة الضابط الذى ظهر كرجل جذاب وهادئ الطباع وبجواره سيدة في العقد الثاني من عمره مثلت أنها زوجته "من المباحث أيضاً". نظر "المتهم" إليهما جيداً دار سؤال في رأسه كيف يتبادل " الضابط المتخفي"هذه السيدة وهي أجمل من زوجته المدرسة؟.

بدأت المحادثات بينهما من خلال الشات لأكثر من يومين، طلب منهم " المتهم" إحضار الأوراق الرسمية للزواج والجلوس أمام الكاميرا وارتداء ملابس النوم .استمرت اللقاءات علي الإنترنت وحاول خلالها طلبة استقطاب الضابط والفتاة التي مثلت أنها زوجته. وبعد استئذان النيابة لتسجيل المكالمات ومكاتبات الشات دقت ساعة الصفر انطلقت قوة من ضباط مباحث الجيزة وألقي القبض علي المتهمين داخل الكافيتريا بشارع جامعة الدول العربية.

لم يصدق " المتهم" وزوجته التي تعمل مدرسة لغة عربية بإحدي المدارس الخاصة أنه متهم بإنشاء موقع إباحي والإعلان عن تبادل الزوجات والتحريض علي الفسق. واعترف الزعيم بإدارة الشبكة وأصر علي أقواله التي أدلي بها في التحقيقات قائلاً إنني أردت أن يكون التبادل بين الزوجات بعقد زواج رسمي حتي أضمن سرية التبادل وعدم إبلاغ الشرطة لأنه لا يمكن أن يفضح زوج زوجته، وفي نفس الوقت لا يمكن أن تقوم زوجة بالإبلاغ عن زوجها وأنه يقوم باستغلالها جنسياً، اما الزواج العرفي فلا مكان لهؤلاء بيننا وذلك لأن أغلب المتزوجين عرفياً قد تزوجوا سراً وكل منهم يريد أن يعاشر زوجته في مكان أمين وهؤلاء يبحثون عن المكان لدينا ولذلك نرفض التبادل والتعاون معهم نهائياً.

وقال أما عن جريمة التحريض علي الفسق وممارسة الأعمال المنافية للآداب، فهذه جريمة لم ارتكبها. واستكمل طلبة الحديث قائلاً أنا لم أمارس الأعمال المنافية للآداب لو أردت أن أفعل ذلك كنت فعلت ذلك دون حاجة إلي موقع إلكتروني أو إجراء مقابلات وتقديم أوراق رسمية وبطاقات رقم قومي والتدقيق في البيانات واختيار الأزواج والزوجات، أنا أريد أن أتبادل مع زوج آخر زوجتي لوقت محدد، فهذا يتطلب أن أحافظ علي أسراري وأدقق مع الجميع حتي لا يفتضح أمري.

وأكد انه يختار الزوجة التي يتبادل معها وليس زوجته هي التي تختار الرجل، وقال أنا الوحيد المسئول عن الموقع لأن الفكرة هي فكرتي والحقيقة أنا الذي أقوم بالاختيار وأحدد المواعيد واللقاءات ومدة التبادل حيث إنني أجد نفسي مستمتعاً بالاختيار خاصة أن التغيير بين الأزواج والزوجات مطلوب. وقال ان زوجته لها الحق في رفض أحد الأزواج مثل أن يكون الزوج الآخر غير مرغوب فيه.
وعند مواجهتهما بأن ما يفعلانه حرام أساساً خاصة وأن الزوجة مدرسة لغة عربية وتعلم ذلك جيداً صرخت الزوجة قائلة "انتو مالكو هو انتو اللي هاتتحاسبوا.. وبعدين أنا ملك زوجي يعمل معي اللي هو عايزة ولا يمكن

أن أخالف زوجي الذي عشت معه أكثر من ٨ سنوات وعندي طفلان منه. "

وقال الزوج لم أرتكب جريمة فالذي حدث أنني دعوت الأزواج من أجل تبادل الزوجات وإذا دخل علينا بوليس الآداب في الشقة في حفلة جماعية فليس من حقه أن يلقي القبض علينا وذلك لأن جميع الأزواج والزوجات لديهم عقود رسمية وفي جيوبهم وإذا كانت شبكات الدعارة تلجأ إلي أوراق الزواج العرفي من أجل الخروج من قضية الدعارة فما بالك بعقود الزواج الرسمية فلا يوجد جريمة يمكن أن يتم سجني عليها نهائياً، خاصة أنني لم أتقاض أي مبالغ مالية من أحد، حيث إن جريمة الدعارة ترتكز علي ركن مادي وهو أن أتقاضي مبالغ مالية والثاني هو ممارسة الأعمال المنافية بلا تمييز وهذا لم يحدث إذا لا توجد جريمة يمكن معاقبتي عليها.

وأكد في التحقيقات أنه تبادل مع أزواج زوجته من قبل لكنه قال انه ليس هناك دليل، واضاف هذه كانت فكرة أردت أن أطبقها في مصر ووجدت رواجاً شديداً بين الشباب ويدخل علي الموقع يومياً مئات الشباب ولكن أغلبهم لم يتزوجوا ولهذا نرفضهم من الموقع ولم نتعامل
معهم .
واختتم حديثه بالتأكيد على أن كل المكاتبات علي الشات تدل علي تبادل الزوجات وقال مبتسما" أيوه.. وبعدين انتو زعلانين ليه.. كل الشباب داخل علي الإنترنت علشان يمارس الجنس وهناك أشياء بتحصل بين الشباب والبنات أكثر من كده بكثير وبنشوف حاجات مش كويسة طيب ليه الناس دي ما بتمسكهاش الحكومة وكله دعارة، المشكلة يا بيه ان حكايات تعارف الشباب مع البنات علي الإنترنت وممارسة الفحشاء زي الرز علي الإنترنت وأنا اللي عملته فقط أنشأت موقع لتبادل الزوجات ولم أسع في افتتاح فرع في مصر، الأمر كله كان تحت التأسيس يعني أنا ما عملتش حاجة "اهـ
قلت: سبحان الله و لاحول ولا قوة إلا بالله لهذا الحد لايستطيع هؤلاء السفهاء من راغب المتعة الحرام التفريق بين الزواج والزنا"ربنا لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا"

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

والجواب في الأتي:
١- الزواج كحل جذري بدليل قوله ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)- أخرجه البخاري في النكاح
- وعن سعيد بن المسيب أنه سمع سعد بن أبي وقاص يقول لقد رد ذلك يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - على عثمان بن مظعون ولو أجاز له التبتل[1] لاختصينا" (البخاري في النكاح(٥٠٤٧) .

[1] -- **التبتل هو الإعراض عن الزواج**

ومن هذه الأدلة الشرعية يتبين أهمية الزواج وخطورة التبتل وهو الأعراض عنه مع الاستطاعة. ثم أن الزواج نعمة من الله تعالي وتأجيله دعوة لفتنة النفس وهلاكها والكلام والقول أن الزواج المبكر خطأ قول يرده ما ثبت في الصحيحين من قصة زواج عائشة –رضي الله تعالي عنها..قالت :

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنين ومكثت عنده تسعا –"أخرجه البخاري في النكاح ح/٥١٣٣، ومسلم نحوه ح/١٤٢٢ واللفظ للبخاري

ولكن يشترط الدخول بعد البلوغ وليس قبله ، وعائشة في سنها هذا وبيئتها بالغة ولذلك لم يكن زواجه منها مما يأخذ عليه من المشركينت الذين ينتظرون هفوة منه – صلى الله عليه وسلم –ليهاجموه فعلم أن ذلك أمر لاغبار عليه بينهم.

٢–الحذر من الخلوة بامرأة أجنبية.

والخلوة بالمرأة الأجنبية شائع في المجتمع بطريقة يندي لها الجبين خجلا وسبب ذلك دياثة الكثير من الرجال وعدم غيرتهم علي نسائهم .

وينبغي عليك أخي القاريء أن تتجنب هذا الفعل المحرم حتي لا تتعرض لسخط الله تعالي ولا تدع الشيطان يزين لك الأمر فقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من الخلوة فقال "إياكم والدخول على النساء ! فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟ قال: الحمو الموت "(البخاري في النكاح(٥٢٣٢) ومسلم في السلام(٢١٧٢)

والحمو قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

–وقال أيضا – صلى الله عليه وسلم –": لا يخلون أحدكم بامرأةٍ إلا مع ذي محرمٍ "(البخاري في النكاح(٥٢٣٣)

– الصوم وغض البصر عن النساء: من المعلوم أن النساء من أخطر الفتن علي الرجال والرجل قد تقع عينية بقصد وتعمد أو بدونه علي نساء متبرجات كاسيات عاريات يختلط بهن في الشارع والعمل وما أشبه ذلك ، وربما تتعمد بعضهن أثارته، ومن الواجب عليه غض بصرة لأن النظر بريد الزنا..قال تعالي : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا صْنَعُونَ (٣٠) وقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)–النور

وفيما أخرجه ابو داود وغيره في النكاح عن جرير قال :(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك)

وأما عن الصوم: قال ابن القيم في زاد المعاد: الجزء :٢/ ٢٧:

لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية ، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها ، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين . وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والضراب وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ،

ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين ، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال ، فإن الصائم لا يفعل شيئاً. وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه .اهـ

– الحذر من الزواج غير الشرعي مهما كانت الأعذار :

الزمالة والصداقة ..الخ لا تبيح الحرام قطعاً بين رجل وامرأة، أقول ذلك لأن الشيطان يتمني أن يلبس عليك بأنك تحبها والحب عاطفة نبيلة ومشاعر رقيقة وورومانسية وهلم جرا ...

ثم يقع المحظور وما يريده الشيطان من البداية ولو بالتدليس بالزواج العرفي بلا شهود أو زواج الدم او الزواج السري أو غير ذلك من أنواع الزواج المودرن الذي لا أصل له من كتاب أو سنة وهكذا...

فلا تتزوج إلا علي أساس شرعي تتوفر فيه شروط الزواج الصحيح من مهر ،والإيجاب والقبول في وجود الولي ، والشاهدين والإشهار بين الناس ..

وكل هذه النصائح كفيلة بأذن الله من تحصينك من الوقوع في الزنا المحرم بعلم أو بجهل منك والله المستعان

(٨) عقوق الوالدين

قال تعالي (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) الإسراء

قال صاحب الظلال في تفسيرها ما نصه:

{ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } . .

فهو أمر بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك . أمر في صورة قضاء . فهو أمر حتمي حتمية القضاء . ولفظة { قضى } تخلع على الأمر معنى التوكيد ، إلى جانب القصر الذي يفيده النفي والاستثناء { ألا تعبدوا إلا إياه } فتبدو في جو التعبير ظلال التوكيد والتشديد .

فإذا وضعت القاعدة ، وأقيم الأساس ، جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية ، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد ، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال .

والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة ، هي رابطة الأسرة ، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله ، إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله :

{ وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما : أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } .

بهذه العبارات الندية ، والصور الموحية ، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء . ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء ، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام . إلى الذرية . إلى الناشئة الجديدة .

إلى الجيل المقبل . وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء . إلى الأبوة . إلى الحياة المولية . إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأمهات .

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد . إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات . وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر؛ كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية إن أمهلهما الأجل وهما مع ذلك سعيدان!

فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله ، ويندفعون بدورهم إلى الأمام . إلى الزوجات والذرية . . وهكذا تندفع الحياة .

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء . إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقة كله حتى أدركه الجفاف!

وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد ، بعد الأمر المؤكد بعبادة الله .

ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال؛ وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان :

{ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما } . . والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيحاؤه؛ وكلمة { عندك } تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف . . { فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما } وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق ، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب . . { وقل لهما قولاً كريماً } وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما بشيء بالإكرام والاحترام . . { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } وهنا يشف التعبير ويلطف ، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان . فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عيناً ، ولا يرفض أمراً . وكأنما للذل جناح يخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام .

{ وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } فهي الذكرى الحانية . ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الولدان ، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان . وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ، ورعاية الله أشمل ، وجناب الله أرحب . وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء اهـ

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه و سلم في الجهاد معه ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم أحي والداك ؟ قال نعم قال ففيهما فجاهد مخرج في الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين و خدمتهما على الجهاد!

و في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله و عقوق الوالدين فانظر كيف قرن الإساءة إليهما و عدم البر و الإحسان بالإشراك

وذكر الذهبي في كتابه " الكبائر " كلام طيب وأثار عن السلف نذكر منها قوله:
ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (إحداهما) قول الله تعالى أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فمن أطاع الله و لم يطع الرسول لم يقبل منه (الثانية) قول الله تعالى و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة فمن صلى و لم يزك لم يقبل منه (الثالثة) قول الله تعالى أن اشكر لي و لوالديك فمن شكر الله و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه و لذا قال النبي صلى الله عليه و سلم رضى الله في رضى الوالدين و سخط الله في سخط الوالدين.
. وقال كعب الأحبار رحمه الله إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب ، و أن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً و خيراً و من برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله إن أبي يريد أن يحتاج مالي فقال صلى الله عليه و سلم أنت و مالك لأبيك
. وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمها ، و إذا أمره بأمر لم يطع أمرهما ، و إذا سألاه شيئاً لم يعطهما ، و إذا ائتمناه خانهما

ـ ورأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته و هو يطوف بها حول الكعبة فقال يابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال و لا بطلقة واحدة من طلقاتها و لكن قد أحسنت ، و الله يثيبك على القليل كثيراً
. وقال أبو بكر بن أبي مريم قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل و قال وهب قرأت في التوراة على من صك والده الرجم
. و قال بشر ما من رجل يقرب من أمه حيث حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله و النظر إليها أفضل من كل شيء .. ثم ذكر الذهبي موعظة طيبة تغنينا عن مزيد من القول..
قال . رحمه الله . أيها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، و أنت تتعاطاه بإتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، و هي تحت أقدام أمك حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج و كابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، و أرضعتك من ثديها لبناً ، و أطارت لأجلك وسناً ، و غسلت بيمينها عنك الأذى ، و آثرتك على نفسها بالغذاء ، و صيرت حجرها لك مهداً ، و أنالتك إحساناً و رفداً ، فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، و أطالت الحزن و النحيب ، و بذلت مالها للطبيب ، و لو خيرت بين حياتك و موتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا و كم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً و جهاراً فلما احتاجت عند الكبر إليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت و هي جائعة و رويت و هي قانعة و قدمت عليها أهلك و أولادك بالإحسان ، و قابلت أياديها بالنسيان و صعب لديك أمرها و هو يسير ، و طال عليك عمرها و هو قصير ، هجرتها و مالها سواك نصير ، هذا و مولاك قد نهاك عن التأفف ، و عاتبك في حقها بعتاب لطيف

ستعاقب في دنياك بعقوق البنين ، و في أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ و التهديد (ذلك بما قدمت يداك و أن الله ليس بظلام للعبيد .اهـ

وما أجمل قول القائل:

لأمك حق لو علمت كثير كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي لها من جواها أنة و زفير

و في الوضع لو تدري عليها مشقة فمن غصص منها الفؤاد يطير

و كم غسلت عنك الأذى بيمينها و ما حجرها إلا لديك سرير

و تفديك بما تشتكيه بنفسها و من ثديها شرب لديك نمير

و كم مرة جاعت و أعطتك قوتها حناناً و إشفاقاً و أنت صغير

فآها لذي عقل و يتبع الهوى و آها لأعمى القلب و هو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقير

وهناك الكثير من الأحاديث التي تدل على عظمة وثواب بر الوالدين وعقوبة عقوقهما أما الآن في عصر الاستنساخ فظن شراً ولا تسأل عن السبب وهذه عناوين وعينات مما يحدث من عقوق للوالدين تنشرها الجرائد الرسمية

- ابن عاق يلقى على وجه أبيه العجوز ماء النار لأنه منعاه من مخالطة رفقاء السوء حدث هذا في باب الشعرية
- ابن يضرب امة ويطردها من شقتها ولم يرحم شيخوختها ليرضي زوجته التي أعماها الحب لوجودها معهما فافتعلت الأسباب وحرضت زوجها على طرد أمه إلى الشارع
- ابنه تشترك مع عشيقها في قتل أمها بتسهيل دخوله للمنزل فطعن الأم المسكينة وهي نائمة عشرين طعنه طامعاً في مجوهرتها وتزعم أنها كانت تسئ معاملتها ونحو ذلك من الجرائم .

كيءف تحصن نفسك من هذه الكبيرة؟

الجواب بأتباع عدد من النصائح لاجتناب الوقوع فيها ،وتشمل النصائح الوالدين والأبناء علي السواء

ولنبدأ بالحصن الحصين للوالدين وهو بمعرفة أسباب العقوق ، لأننا لو عرفنا الداء كان من اليسير معرفة الدواء..

والأسباب التي تدعو للعقوق من الأبناء كثيرة نذكر منها([1]) :

١- الإشغال الدائم للأب ب في عمله لسد العجز في ميزانية البيت لزوم المأكل والمشرب ومصاريف الدروس الخصوصية وخلافة .

٢- خروج الأم للعمل حباً في المساواة أو لتضيع الوقت تاركة مهمتها الطبيعية لتربية الأبناء

[1] – أنظر كتابي الشباب إلي أين ؟!!– طبع المحمودية

٣- رفقاء السوء الذين يختلط بهم الأبناء بلا حسيب أو رقيب .

٤- الكم الرهيب من أفلام العنف والجريمة وأغاني الحب عن طريق الدش والتلفزيون والانترنت وهلم جر .

٥- الأمية الدينية فى عقول الشباب فالشباب لا يعرف شيئاً عن السلف الصالح . بينما هو يعلم كل كبيرة وصغيرة عن أهل الدنيا من الفنانين والمطربين ولاعبي الكرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وعلاج هذه الأسباب في اجتنابها قطعاً ، وهذا من جهة الوالدين أما من جهة الأبناء فيجب عليهم العمل بالوصايا التالية:

١ – خاطبْ والديك بأدب ولا تقل لهما أُفٍّ ، ولا تَنهَرْهُمَا ، وُقل لهما قولا كريما .

٢ – أطع والديك دائما في غير معصية ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٣ – تلطَّفْ بوالديك ولا تعبس بوجههما ، ولا تُحدق النظر إليهما غاضبا .

٤ – حافظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما ، لا تأخذ شيئا بدون إذنهما .

٥ – اعمل ما يسرهما ولو من غير أمرهما كالخدمة وشراء اللوازم ، والاجتهاد في طلب العلم .

٦ – شاورهما في أعمالك كلها واعتذر لهما إذا اضطررت للمخالفة .

٧ – أجب نداءهما مسرعاً بوجه مبتسم قائلا : نعم يا أمي ويا أبي ، ولا تقل يا بابا ويا ماما فهي كلمات أجنبية .

٨ – أكرم صديقهما وأقرباءهما في حياتهما ، وبعد موتهما .

٩ – لا تجادلهما ولا تُخطِّئهما وحاول بأدب أن تبين لهما الصواب .

١٠ – لا تعاندهما ، ولا ترفع صوتك عليهما ، وأنصت لحديثهما وتأدب معهما ، ولا تزعج أحد إخوتك إكراماً لوالديك .

١١ – انهض إلى والديك إذا دخلا عليك ، وقبّل رأسهما .

١٢ – ساعد أمك في البيت ، ولا تتأخر عن مساعدة أبيك في عمله .

١٣ – لا تسافر إذا لم يأذنا لك ولو لأمر هام ، فإن اضطررت فاعتذر لهما ، ولا تقطع رسائلك عنهما .

١٤ – لا تدخل عليهما بدون إذن ، لا سيما وقت نومهما وراحتهما .

١٥ – إذا كنت مبتلى بالتدخين فلا تدخن أمامهما .

١٦ – لا تتناول طعاماً قبلهما ، وأكرمهما في الطعام والشراب .

١٧ – لا تكذب عليهما ، ولا تلمهما إذا عَمِلا عَمَلا لا يعجبك .

١٨ – لا تفضل زوجتك ، أو ولدك عليهما ، واطلب رضاهما قبل كل شيء ، فرضاء الله في رضاء الوالدين ، وسخطه في سخطهما .

١٩ – لا تجلس في مكان أعلى منهما ، ولا تمد رجليك في حضرتهما متكبراً .

٢٠ – لا تتكبر في الانتساب إلى أبيك ولو كنت موظفا كبيرا ، واحذر أن تنكر معروفهما أو تؤذيهما ولو بكلمة .

٢١ – لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك ، فهذا عار عليك ، وسترى ذلك من أولادك ، فكما تدين تدان .

٢٢ – أكثر من زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما ، واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك ، واعتبر بأولادك وما تقاسيه معهم .

٢٣ – أحق الناس بالإكرام أمك ثم أبوك ، واعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات .

٢٤ – احذر عقوق الوالدين وغضبهما فتشقى في الدنيا والآخرة ، وسيعاملك أولادك بمثل ما تعامل به والديك .

٢٥ – إذا طلبت شيئاً من والديك فتلطف بهما واشكرهما إن أعطياك ، واعذرهما إن منعاك ، ولا تكثر طلباتك لئلا تزعجهما .

٢٦ – إذا أصبحت قادرا على كسب الرزق فاعمل ، وساعد والديك .

٢٧ – إن لوالديك عليك حقّاً ، ولزوجك عليك حقا ، فأعط كل ذي حق حقه ، وحاول التوفيق بينهما إن اختلفا ، وقدم الهدايا للجانبين سّراً .

٢٨ – إذا اختصم أبواك مع زوجتك فكن حكيما ، وأفهم زوجتك أنك معها إن كان الحق بجانبها ، وأنك مضطر لترضيتهما .

٢٩ – إذا اختلفت مع أبويك في الزواج والطلاق فاحتكموا إلى الشرع ، فهو خير عون لكم .

٣٠ – دعاء الوالدين مستجاب بالخير والشر ، فاحذر دعاءهما عليك بالشر .

٣١ – تأدب مع الناس ، فمن سب الناس سبوه ، قال صلى الله عليه وسلم : « من الكبائر شتم الرجل والديه : يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه ، فيسب أمه » . متفق عليه .

٣٢ – زُر والديك في حياتهما وبعد موتهما ، وتصدق عنهما ، وأكثر من الدعاء لهما قائلا : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ } . " سورة نوح " آية ٢٨ . { رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } سورة الإسراء " آية ٢٤ ([1]).

---

[1] . أنظر كتاب وجيهات إسلامية للإصلاح الفرد والمجتمع تأليف : محمد بن جميل زينو

(٩) أكل مال اليتيم

في كتاب الله أيضا ترهيبًا شديدًا في الإسراف في أكل مال اليتيم بغير حق ..

–قال تعالي: { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) . النساء

قال الشنقيطي([1]) في معني قوله تعالى : { وَآتُواْ اليتامى أَمْوَالَهُمْ } الآية .

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم ، ولم يشترط هنا في ذلك شرطاً ، ولكنه بين بعد هذا أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين :

الأول : بلوغ اليتامى .

والثاني : إيناس الرشد منهم ، وذلك في قوله تعالى : { وابتلوا اليتامى حتى إِذَا بَلَغُواْ النّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فادفعوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً

وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمعروف فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء : ٦] وتسميتهم يتامى في الموضعين ، إنما هي باعتبار يتمهم الذي كانوا متصفين به قبل البلوغ ، إذ لا يتم بعد البلوغ إجماعاً ، ونظيره قوله تعالى : { فَأُلْقِيَ السحرة سَاجِدِين } [الشعراء : ٤٦] يعني الذين كانوا سحرة ، إذ لا سِحر مع السجود لله .

وقال بعض العلماء : معنى إيتائهم أموالهم إجراء النفقة والكسوة زمن الولاية عليهم .

ثم قال– رحمه الله–:

قوله تعالى : { وَلاَ تأكلوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً } .

ذكر في هذه الآية الكريمة أن أكل أموال اليتامى حوب كبير ، اي : إثم عظيم ، ولم يبين مبلغ هذا الحوب من العظم ، ولكنه بينه في موضع آخر وهو قوله : { إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليتامى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا } [النساء : ١٠] .اهـ

–أما في السنة الصحيحة ففيها الكثير من الحث علي إكرام اليتيم والإحسان إليه ترهيبا وترغيبا..قال النبي صلى الله عليه وسلم –:

" أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وقرن بين إصبعيه الوسطي والتي تلي الإبهام " ([2])

– وعن أبي هريرة : أن رجلا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له : "إن أردت تليين قلبك ؛ فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم "([3]).

---

[1] . – أنظر أضواء البيان للشنقيطي محمد الأمين(٢٦٢/١)

[2] ـ أخرجه البخاري في اللعان (٤٨٩٢) وأبو داود (٤٤٨٢) ، وأحمد في مسنده (٣٠٢/٤٦) وغيرهم.

[3] . أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٣/٢) ، وأنظر السلسلة الصحيحة للألباني(٨٥٤

كيفق تحصن نفسك من هذه الكبيرة؟

الجواب أن تعلم مالك وما عليك حتي لا تقع فيما حرم الله تعالي :

قال تعالى: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (.[سورة الأنعام، الآية: ١٥٢].
واليتيم هو الذي مات أبوه قبل بلوغه سواء أكان ذكراً أو أنثي. ومن ماتت أمه قبل أن يبلغ فليس بيتيم.

قال ابن العثيمين – رحمه الله–:

كثيرمن أهل العلم. المهم وليه يقول الله تعالى: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن.
قربان مال اليتيم له ثلاث درجات:
١. أسوأ.
٢. أحسن.
٣. لا أحسن ولا أسوأ.
فالتصرف بما هو أسوأ في مال اليتيم حرام يعني: لو أنك أردت أن تشتري شيئاً بمال اليتيم وتعرف أن هذا الشيء سيخسر قطعاً ، فذلك حرام لأن هذا لا شك ضرر على اليتيم. وأما إذا تصرفت تصرفاً لا تدري هل هو أحسن أو ليس بأحسن. هذا أيضاً حرام لأن الله يقول: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أردت أن تتصرف فيه تصرفاً حسناً لكن أمامك شيئان، تصرف فيه خير وتصرف فيه خير أكثر، أيهما الواجب؟ الواجب الذي فيه الخير الأكثر لأن الله قال: (إلا بالتي هي أحسن (ولنضرب لهذا مثلاً : جاءك رجل يقول : أقرضني مال اليتيم. وهذا الرجل معروف بالمماطلة وأنه لا يكاد يخرج الحق منه، هل يجوز أن تقرضه؟ لا يجوز لأن في ذلك مغامرة ومخاطرة في مال اليتيم.
جاءك رجل آخر يقول : أقرضني مال اليتيم وهو رجل وفي، لكن إقراضه ليس فيه مصلحة لليتيم هل تقرضه؟ لا لأنه ليس فيه مصلحة.
جاءك رجل ثالث يقول : أقرضني مال اليتيم وأنت تخشى على هذا المال لو بقي عندك أن يسرق، فهل في إقراضه مصلحة؟
هذا الرجل الثالث وفي، ولو طلب منه المال في أي ساعة من ليل أو نهار أعطاه، وأنا أخشى إن بقي المال عندي أخشى عليه من عدوان أو سرقة أو غير ذلك فهنا إذا أقرضته، جائز لأن هذا هو الأحسن، إذاً يجب على ولي اليتيم المتولي لماله أن لا يتصرف إلا بالتي هي أحسن، ومن هنا نأخذ قاعدة، وهي أن كل ولي على كل شيء يجب عليه أن لا يتصرف إلا بما هو أحسن.
الإنسان لو تصرف بشيء لنفسه فهو حر، لكن إذا تصرف بشيء لغيره وجب أن يتبع الأحسن.. ثم قال رحمه الله:
قوله :

(حتى يبلغ أشده (. المراد بالأشد ، الرشد لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً قال الله تعالى : (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم([سورة النساء، الآية: ٦]. فإذا بلغ اليتيم وكان يحسن التصرف في المال وجب علينا أن ندفع إليه المال، ولهذا قال: " فادفعوا إليهم أموالهم"

لأنه الآن ليس لأحد حق في الولاية عليه.اهـ

قلت : ومن ثم ينبغي الحذر لكل من أبتلاه الله بهذا الأمر والله المستعان.

(١٠)شهادة الزور

قال تعالى :(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)]الحج:٣٠]،

وقال " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت متفق عليه

أمر الله تعالي الناس أن يشهدوا بالحق ولا يكتمون الشهادة..ق ال تعالي : { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ } ،وأن كان الأمر كذلك لأصحاب القلوب السليمة الت تخاف الله ولا تخاف فيه لومة لائم ، فعكس ذلك تماماً أصحاب القلوب السقيمة التي غرتها زينة الحياة الدنيا واستحلوا شهادة الزور، ، وهي من كبائر الذنوب التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته منها، لأنها تجمع بين الكذب الذي هو من أقبح الخصال وبين التسبب في إضاعة حقوق المسلمين بسببها.

فلذلك كانت من الكبائر التي أغضبت بشدة رسول الله ﷺ حتي وقف وأعتدل من مجلسه وأشفق عليه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين.

وأعلم أخي القاريء أن شهادة الزور فيها إساءة على قضاة المسلمين بتلبيس الحق عليهم ، وفيها إساءة إلى المشهود له بمساعدته على الإثم والعدوان ، وفيها إساءة إلى من حرمه حقه بشهادته وخذله في حين أنه في أشد الحاجه إلى كما قال النبي ﷺ:" أنصر أخاك ظالماً أو مظلوم"

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

الجواب بحفظ لسانك عما حرم الله تعالي ..

يقول الحسن رحمه الله: [من كثر كلامه كثر كذبه] فالذي يكثر من الكلام في كل مجلس لغير فائدة، يكثر كذبه.

و الشافعي عليه رحمة الله كان لا يتكلم إلا فيما ينفع، حتى إنه إذا تكلم لم يكن يرفع صوته، يقول ابن بنت الشافعي : ما سمعت أبي ناظر أحداً يوماً فرفع

وسيأتي بيان شافي عن خطورة اللسان في الكبائر التالية والله المستعان.

(١١) شرب الخمر

قال الله تعالى : {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ(٩٠)}–المائدة – وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب، لم يشربها في الآخرة"(مسلم في الاشربة ح/٢٠٠٣)

وقال ﷺ :"لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها" رواه أبو داود والحاكم

-وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد. أخرجه البخاري"متفق عليه

وأعلم أخي القاريء " أن أهداف الإسلام الكبرى تحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم ، ومن مقتضيات ذلك أنه { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } وحفظ لهم نفوسهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم . ومن أحكامه التي تتجلى فيها كل تلك المقاصد تحريمه للخمر وتشريعه العقوبة لشاربها . ذلك أن الخمر تهدم تلك الكليات جميعا وهي : النفس والمال والعقل والعرض والدين .

وقد يتصور المرء لأول وهلة أن الخمر إنما تذهب العقل فقط وأن ضررها لا يتعدى ذلك . ولكن الحقيقة أنها تذهب الدين والنفس والمال والعقل والعرض ذلك أن معاقرتها تحصر شاربها في شهواته الدنيا دون أن يحمل فكرة عليا أو رسالة سامية وبذلك ينطفئ وجدانه ويتبلد إحساسه الديني فلا يفيق أبدا .

كما أنها تفتك بالنفس وتؤدي إلى الأمراض القاتلة المستعصية إضافة إلى ما تستنزفه من ثروات خاصة وعامة ولو نظرنا إلى ما تسببه من حوادث وغياب عن العمل ومصروفات وعلاج من الأمراض المتسببة عنها لوجدناها تكلف الدول الكثير . ثم هي قبل ذلك تجرد الإنسان من خاصيته التي بها يتميز وهي العقل ، حيث يلتحق بالبهائم وهو الذي سخر بطاقته العقلية التي وهبه الله ما في الكون لمصلحته ومنفعته . ثم إنها تتسبب في توهين الروابط الاجتماعية بما ينتج عنها من عداوة وبغضاء جراء الأقوال والأفعال التي تصدر من شاربها تجاه الآخرين فتسبب كل تلك المفاسد والشرور لذا حرم الإسلام الخمر تحريما قاطعا

([1]).اهـ

قلت ولكن للأسف الشديد يتحجج البعض من ضعاف الإيمان بأنه أنما يشرب الخمر للعلاج والنبي أمرنا بالتداوي !!

وهذا عذر أقبح من الذنب ..لماذا؟

لأن أمر النبي صلي الله عليه وسلم للمسلمين بالتداوي ليس معناه إباحة التداوي بالمحرم لأدلة منها:

---

[1] - انظر كتاب الجريمة والعقاب في الإسلام

حديث ابن مسعود موقوفا عليه قال النبي صلي الله عليه وسلم "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم "– أخرجه البخاري معلقاً وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ح/١٦٣٣

– وعن ابن مسعود قال صلي الله عيه وسلم "أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم"– وصحح الألباني إسناده في غاية المرام ح/٦٧

–وعن طارق بن سويد : أنه سئل النبي صلي الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه، أو كره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : إنه ليس بدواء ولكنه داء"–أخرج مسلم في الأشربة ح/ ١٩٨٤

قال ابن القيم في الزاد (٤/١٤١):

المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلاً وشرعاً ، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها ، وأما سبحانه إنما حرمه لخبثه ، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها ، كما حرمه على بني إسرائيل بقوله : " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم " [النساء : ١٦٠] ، وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه ، ولحريمه له حمية لهم ، وصيانة عن تناوله

فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل ، فإنه وإن أثر في إزالتها ، لكنه يعقب سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه ، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب .

وأيضاً فإن تحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق ، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته ، وهذا ضد مقصود الشارع ، وأيضاً فإنه داء كما نص عليه صاحب الشريعة ، فلا يجوز أن يتخذ دواء .اهـ

كيف تحن نفسك من هذه الكبيرة؟

الجواب باجتناب الخمر أو بالإقلاع عنه والعلاج من إدمانه لمن كان يشربها ، وكفي للمسلم أن يدرك خطورتها ليحرمها علي نفسه..

ومن ثم أعلم أخي القاريء أن الإسلام هو الدين الوحيد على وجه الأرض الذي حرم الخمر بالكامل. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما اسكر كثيره فقليله حرام).

فلا يوجد عذر في دين الإسلام لمن يشرب الخمر أو أي شراب مسكر.

وهاهو شاهد منهم يبين عظمة الإسلام في تحريمه للخمر وهو الدكتور الفرنسي (شارل ريشيه)الحاصل على جائزة نوبل للفسيولوجيا.

قال بتصرف يسير : هناك العديد من القوى المدمرة التي تنتهك وتدمر الأمم، واحد أخبث واخطر هذه القوى في الخمر.

و قال ..والخمر لا تحتوي على أي قيمة غذائية . فهي لا تحتوي على أي أملاح معدنية أو بروتينات. ويذهب تسعون بالمئة منها إلى مجرى الدم. وبناء عليه فأنها لا تحتاج لأي هضم وليس لها أي تأثيرات نافعة على الجسم. والخمر عامل هام من العوامل المسببة لأمراض القلب والكبد والمعدة والبنكرياس. كما إن الخمر تسبب الأكتئاب النفسي ، وتسبب في اشد التغيرات المدمرة في المخ.اهـ

قلت : ولا عجب عندما سماها سيدنا عثمان بأم الخبائث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١٢,١٣)الغيبة والنميمة

الغيبة والنميمة والكذب والجدال في الدين وما أشبه ذلك من آفات اللسان قد يظنها البعض صغائر وأمرها هين وهو مخدوع في ذلك ، ولكن من استشعر عظمة الله يعلم يقيناً إنه ليس هناك صغيرة وكبيرة في حق الله تعالي ..

ومن ثم كان الإصرار علي الذنب كبيرة والغيبة والنميمة خصلتان قبيحتان ذواتا خطر كبير على العلاقات بين الناس ،ولهما عواقب وخيمة ، والنميمة هي نقل كلام شخص لآخر على وجه التحريش والإفساد .

لذلك نبه الله تعالي الناس إلي التحقيق والتثبيت قبل تصديق النمام ومن هو علي شاكلته

فقال تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)). الحجرات

– وروي أن رجل جاء لعمر ابن عبد العزيز وذكر عنده رجلاً فقال له: أن شئت نظرنا في أمرك وأن كنت كذباً فأنت من أهل هذه الآية إن (إن جائكم فاسق بنبأ فتبينوا) وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) وإن شئت عفونا عنك قال العفو يا أمير المؤمنين لن أعود إليها أبداً .

وما أصدق قول الشاعر :

من يخبرك بشتم عن أخ   فهو الشاتم لا من شتمك

ذك شيء لم يوجهك بـه   إنما اللوم على من أعلامك

أما الغيبة فهي : ذكرك أخاك بما يكره سواء في خلقه أو خلقه في غيبته ، سواء كان فيه ، ما ذكرت أو لم يكن فيه ، « سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغيبة فقال : " ذكرك أخاك بما يكره " ، فقال : رجل أرأيت إن كان في أخي ما أقول ، قال : " بأن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » ، حذار من الغيبة فقد نهي الله تعالى عنها في قوله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)). الحجرات

وعلي الإنسان إن يمسك لسانه ولا يتكلم إلا بخير وليحذر التكلم بالغيبة أو النميمة حتي لا يهلكانه والله المستعان.

كيف تحصن نفسك من هاتين الكبيرتين ؟

والجواب بحفظ اللسان كما قلنا أنفا..

قال تعالي : (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ {١٨/ق}

وقال تعالي: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ {١١} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ {١٢} الانفطار)

وفي الحديث /عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ- البخاري في الرقاق ومسلم في الزهد

ومن الآيات السابقة والحديث ندرك أنمن أخطر الجوارح في الإنسان بعد القلب جارحة اللسان ،ومن نعم الله علينا أن جعل للسان باب يغلق عندما تشاء ،واللسان قد يؤدي بصاحبه إلي النار أو الجنة .

وجميع جوارح الإنسان تستغيث باللسان أن يكف عن الكلام فيما لا يعنيه حتي لا تسقم بالأمراض،كما جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا "

أخرجه الترمذي في الزهد وحسنه الألباني في الجامع

*ولذلك من فقه المرء أن يكون كلامه ذكرا ونظره عبرا وصمته فكرا

* وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ- البخاري في (لأدب ومسلم في الأيمان)

* عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ –الترمذي في الزهد وهو حسن

-وكان عبد الله بن مسعود يقول والله الذي لا إله إلا هو ليس هناك أحوج من طول سجن من لسان

-وكان أبو بكر يضع حصى علي لسانه ويشير إليه ويقول هذا الذي أوردني الموارد

- وكان الحسن البصري قليل الكلام فلما سئل قال أنظر إلي الكلمة فأن كانت في ميزان حسناتي قلتها وان كانت في ميزان سيئاتي امتنعت عنها

لكن في عصر الكمبيوتر عيني عينك يتحدث الإنسان فيما يعنيه ومالا يعنيه علي المقاهي وفي البيوت والجلسات الخاصة والعامة وفي التليفون العادي والمحمول ..الخ..

والغيبة والنميمة وسوء الظن والكذب منتشر بين مسلمي القرن الواحد والعشرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٤- الحسد

الحسد من أمراض القلوب الحسد : وهو داء يجب أن يحترز منه المسلم لأن الحسد اعتراض على قسمة الله على عباده ..

قال تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ورَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً ورَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)) (الزخرف) .

ولقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسد فقال : " لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً " . أخرجه مسلم في البر ح/٢٥٥٩

قال النووي في شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم : التدابر المعاداة ، وقيل : المقاطعة ؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره . والحسد تمني زوال النعمة ، وهو حرام . ومعنى (كونوا عباد الله إخوانا) أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق ، والشفقة والملاطفة ، والتعاون في الخير ، ونحو ذلك ، مع صفاء القلوب ، والنصيحة بكل حال . قال بعض العلماء . وفي النهي عن التباغض إشارة إلى النهي عن الأهواء المضلة الموجبة للتباغض .اهـ

أقسام الحسد :

وأعلم أن للحسد قسمان..

أولهما : أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو غير ذلك لتحصل له .

وثانيهما : وهو شرهما أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له .

وليس من الحسد الاغتباط وهو تمنى حصول نعمة مثل نعمة غيره من علم أو مال أو صلاح بدون تمني زوالها وهو المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" –أخرجه البخاري في الزكاة ح/١٤٠٩ ومسلم في صلاة المسافرسن ح/٨١٦

وفي رواية أخري : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"

ولزيادة بيان اليك ما قاله شيخ الإسلام ط ابن تيمية –رحمه الله– قال:

فهذا الحسد الذى نهى عنه النبى إلا فى موضعين هو الذى سماه أولئك الغبطة وهو أن يحب مثل حال الغير ويكره أن يفضل عليه فإن قيل إذا لم سمي حسدا وإنما أحب أن ينعم الله عليه قيل مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسدا لأنه كراهة تتبعها محبة وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شئ

ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثانى وقد تسمى المنافسة فيتنافس الاثنان فى الأمر المحبوب المطلوب كلاهما يطلب أن يأخذه وذلك لكراهية أحدهما أن يتفضل عليه الآخر كما يكره المستبقان كل منهما أن يسبقه الآخر والتنافس ليس مذموما مطلقا بل هو محمود فى الخير قال تعالى" إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) –المطففين "

فأمر المنافس أن ينافس فى هذا النعيم لا ينافس فى نعيم الدنيا.اهـ–انظر مجموع الفتاوي ١١٣/١٠

خطورة داء الحسد :

أدرك الرعيل الأول خطورة الحسد علي صحة الإيمان وطهارة القلب فكانوا أبعد الناس عنه وأليك بعض مواعظهم.

قال أبو الدرداء : ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده .

وقال رجل للحسن : هل يحسد المؤمن ؟ قال : ما أنساك بني يعقوب .. نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً.

وقال ابن سرين : ما حسدت أحداً على شئ من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار .

وقيل عن الحسد هذا البيت من الشعر :

كل العداوات قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

فكن علي حذر من هذه الكبيرة واعلم إن أول حاسد هو إبليس لعنه الله حسد آدم عليه السلام بما أنعم الله عليه فكان منه ما كان فطر من رحمة الله ولعنه إلي يوم الدين .

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة؟

والجواب بمعرفة الأسباب التي تؤدي إلي الوقوع فيها وعلاجها.. واليك البيان والتوضيح :

أسباب داء الحسد :

ذكرها أبو حامد الغزالي في الإحياء/ج ٥ قال:

(أن من أسباب الحسد : العداوة ، والتكبر ، والعجب ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها ، والعداوة والبغضاء فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه أبغضه قلبه ورسخ في نفسه الحقد) أ هـ .

ولا ريب أن مثل هذه المعاصي وغيرها من الأسباب تؤدي إلي سقم قلب العبد وبالتبعة بعده عن الله تعالي ومخالفة سنة رسوله ﷺ .

والعلاج من الحسد:

أن يتجنب العبد الوقوع في الأسباب المؤدية إليه التي ذكرناها أنفاً ومجاهدة النفس علي ذلك وليعلم أن علاج الحسد يكون بعدة أمور وسأذكر أثنين فيهما الكفاية :

١-**القناعة والرضا بقضاء الله تعالى :** لقوله ﷺ : " قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه " – أخرجه مسلم في الزكاة ح/١٠٥٤ ، والترمذي في الزهد ح/٢٣٤٨

والقناعة تجعل العبد راضياً بما أعطاه الله من رزق شاكراً إياه ولا يطمع فيما رزق غيره حتي لايزدري نعمة الله عليه.

قال ابن القيم –رحمه الله :

أن الرضى يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا وبرد القناعة واغتباط العبد بقسمه من ربه وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلامه لمولاه في كل شيء ورضاه منه بما يجريه عليه وتسليمه له الأحكام والقضايا واعتقاد حسن تدبيره وكمال حكمته ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته ولهذا سمى بعض العارفين الرضى :

حسن الخلق مع الله فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه فلا يقول : ما أحوج الناس إلى مطر ولا يقول : هذا يوم شديد الحر أو شديد البرد ولا يقول : الفقر بلاء والعيال هم وغم ولا يسمى شيئا قضاه الله وقدره باسم مذموم إذا لم يذمه الله سبحانه وتعالى فإن هذا كله ينافى رضاه ، وقال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله :

أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القدر وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر وإن كان الغنى فإن فيه البذل اهـ–انظر كتاب مدارج السالكين ١٣٠/٣

٢- الزهد في الدنيا :

لو علم المرء أن الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى ما طمع بشئ من حطامها وما حسد إنسان على ما هو فيه من نعم زائفة .

قال تعالى : (وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَهْوٌ ولَعِبٌ وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)) (العنكبوت /٦٤) ..

ومعنى الحيوان : أي الحياة الحقيقية الكاملة .. وقال صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض|"–أخرجه البخاري في الرقاق ح/٦٤٣٥

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث ما مختصره:

قوله (تعس) بكسر العين المهملة ويجوز الفتح أي سقط والمراد هنا هلك ، وقال ابن الأنباري : التعس الشر ، قال تعالى (فتعسا لهم) أراد ألزمهم الشر ، وقيل التعس البعد أي بعدا لهم .

. قوله (عبد الدينار) أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه ، فكأنه لذلك خادمه وعبده . قال الطيبي : قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصا ، ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة . وقوله " إن أعطى إلخ " يؤذن بشدة الحرص على ذلك . وقال غيره : جعله عبدا لهما لشغفه وحرصه ، فمن كان عبدا لهواه لم يصدق في حقه (إياك نعبد) فلا يكون من اتصف بذلك صديقا . قوله (والقطيفة) هي الثوب الذي له خمل " والخميصة الكساء المربع " اهـ

(١٥) الكذب

الكذب آفة عمت بها البلوى ومصيبة عظمى أوقعنا فيها الشيطان وحب النفس واتباع الهوى ، ويندر أن تجد إنساناً صادقاً مائة في المائة فالكذب صار سمة هذا العصر لكثير من العباد إلا من رحمه الله تعالى ، والناس التي تمارس الكذب لها معاذير أقبح من الذنب نفسه .

يقولون الكذب يفتح لك الأبواب المغلقة ..

ويقولون بالكذب تقضى مصالحك وتمشي أمورك ..

ويقولون الكذب وسيلة لا تضر للتخلص ممن لا تريد وهكذا!!

وهم من أجل ذلك جعلوا للكذب الواناً .. فهذه كذبة بيضاء وتلك سوداء والأبيض حلال في رأيهم ما دام لا يسبب ضرراً لأحد...

تري أين هؤلاء من قول الله سبحانه وتعالى :-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة ١١٩).. ويقول أيضاً جل وعلا : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (المائدة ١١٩)

فالصدق إذًا ينفع يوم القيامة وينجي صاحبه من النار . . فماذا لو كنت أنت من أهل الكذب ، ماذا تقول لله رب العالمين . ما هي حجتك ؟ وما هو عذرك ؟ وكيف يكون جوابك ؟

ألم تقرأ قوله تعالى :- (مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق ١٨).

أليس تعلم قول النبي ﷺ : (إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[1]

واعلم أن الكذب من علامات المنافق كما أنه مهانة للمرء ، ولنا في رسول الله صلي الله عليه وسلم أسوة حسنة فقد كان يمزح ولكن لا يقول إلا حقاً.

- وعن أبي هريرة قال:(قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا)[2]..

- ومن مزاحه صلي الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك قال :

(أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني حاملك على ولد الناقة فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الإبل إلا النوق)[1]

---

[1]– أخرجه مسلم فى البر والصلة (٢٦٠٧) والبخارى فى الأدب (٦٠٩٤)

[2]– أخرجه الترمذى فى البر والصلة (١٩٩٠) وقال حسن صحيح

[1]– أخرجه ابو داود فى الادب (٤٣٤٦) والترمذى فى البر والصلة (١٩٩١) وقال حسن صحيح

وحذار من المزاح الذي يتخلله الكذب في القول من أجل الضحك والسخرية من عباد الله للترهيب الشديد في ذلك فقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم إنه قال:-

(ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له) [٢]

ولله در القائل :

لا يكذب المرء إلا مهانته   أو فعله السوء أو قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة   من كذبة المرء في جد وفي لعب

وبعد كل ماذكرناه ينبغي علي المسلم إلا يقول إلا حقا،وينبغي عليه أن يصون لسانه عن الفحش والكذب والسب وغير ذلك من الافات المهلكة التي تجر عليه سخط الله تعالي والعياذ بالله.

كيف تحصن نفسك من هذه الكبيرة ؟

والجواب باجتنابه والأخذ بما رخص فيه الشرع فقط وهو كافي ..

ولقد شرع النبي- صلى الله عليه وسلم- للآمة بما أوحي الله له في الكذب في ثلاثة أحوال فقط ومن رحمة الله بعباده وحتى لا تتعطل مصالحهم ويضرون أنفسهم شرع على.

١- كذب الرجل في الحرب .

٢- كذب الرجل على زوجته لإصلاح شأنها .

٣- وسلم (الكذب في الإصلاح بين المتخاصمين وإليك الدليل وشرحه .

روي البخاري ومسلم عن أم كلثوم رضي الله عنها ..   قال صلى الله عليه

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً وزاد مسلم في رواية له (قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص في شئ مما يقول الناس إلا في ثلاث ..

تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها) [١]النووي في شرح الحديث : (اختلفوا في المراد بالكذب المباح في هذه المواضع الثلاثة ' فقال قوم : هو على إطلاقه ، وأنه يباح الإخبار بما لم يكن أنه كان ، وقال آخرون منهم الطبري :-

لا يجوز الكذب على معناه الحقيقي في شئ من ذلك أصلاً وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية ، واستعمال المعاريض ، لا صريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ، ويكسوها كذا ،وينوي إن قدر الله . يعني يأتي بكلمات محتملة . يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه ، وإذا سعى في إصلاح ذات البين نقل عن كل فريق للآخر كلاماً جميلاً ، وكذا في الحرب كقوله ، مات قائد العدو ، وينوي قائدهم إلى الهزيمة ، أو إلى النار ، وأما الكذب على الزوجة وكذبها على زوجها ، فالمراد به إظهار الود، والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك ، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بالإجماع .

---

[2]- أخرجه ابو داود فى البر والصلة (٢٦٠٥) والبخارى مختصرا فى الصلح (٢٦٩٢)

[1]- اخرجه مسلم فى البر والصلة (٢٦٠٥) ، والبخارى مختصرا فى الصلح (٢٦٩٢)

وبمناسبة الكلام عن التعريض والتورية قد تسأل هل يجوز ذلك وكيف ؟ والإجابة من كتاب " الأذكار " للنووي رحمه الله تعالى قال ما ملخصه :-

(اعلم أن هذا الباب من أهم الأبواب ، فإنه مما يكثر استعماله، وتعم به البلوى ، فينبغي أن نعتني بتحقيقه ثم قال : اعلم أن التورية والتعرض معناهما : أن تطلق لفظاً هو ظاهر في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ضرب من التعزيز والخداع . قال العلماء : فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خدع المخاطب أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض ، وإن لم

يكن شئ من ذلك فهو مكروه وليس بحرام إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق ، فيصير حينئذ حراماً . وروى بعض الآثار في ذلك منها :- قال النخعي : لا تقل لابنك أشترى لك سكراً ، بل قل : أرايت لو اشتريت لك سكراً . – وكان إذا طلبه رجل قال للجارية : قولي له اطلبه في المسجد ، وقال غيره : خرج أبي في وقت غير هذا . – وكان الشعبي يخط دائرة ويقول للجارية : ضعي اصبعك فيها ، وقولي : ليس هوهاهنا ، ومثل ذلك قول الناس في العادة لمن دعاه لطعام : أنا على نية موهماً أنه صائم ومقصوده على نية ترك الأكل) .اهـ

قلت: وغير ذلك من أنواع التعريض المباح بالتوضيح الذي ذكره الإمام النووي ، رحمه الله تعالى فحذار من الكذب بما لم يبيحه الشرع .

فهرس الكتاب

____